@ketab_n
Follow Me
3.4.2016

ظلّ ثقيل

مختارات من القصة الغرائبية المكتوبة بالإسبانية

تقديم: سيرجيو غوت فيل هارتمان

ترجمة: آسية السخيري

طوى
للنشر والإعلام

ظلّ ثقيل

مختارات من القصة الغرائبية المكتوبة بالإسبانية

تقديم: سيرجيو غوت فيل هارتمان

ترجمة: آسية السخيري

طوى
للنشر والتوزيع

Twitter: @ketab_n

ظلّ ثقيل

Twitter: @ketab_n

Book: thel thageel

الكتاب: ظلّ ثقيل

Author: Essia Skhiri

المؤلف: آسية السخيري

Cover plate: Guillermo Vidal

لوحة الغلاف: غييرمو فيدال

First Edition: 2011

الطبعة الأولى ٢٠١١

All rights reserved

حقوق الطبع محفوظة ©

طوى للثقافة والنشر والإعلام ـ لندن

TUWA MEDIA & PUBLISHING LIMITED

19 TANFIELD AVENUE, LONDON, NW2, UNITED KINGDOM

Email: tuwa@london.com

Tel: 009662108111 - 00966505481425

التوزيع: منشورات الجمل

Al-Kamel Veralg

Postfach 210149 Köln. Germany

Tel: 0221736982 Fax: 02217326763

E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

All rights reserved. Except for brief quotations in a review, this book or any part thereof, may not be reproduced, stored in or introduced into a retrieval system, or transmitted, in any form otherwise, without or by any means; electronic, mechanical, photocopying, recording or the prior written permission of the publisher.

Twitter: @ketab_n

مقدمة

قبل عدة سنوات من الآن، وعندما أطلقت بعض المشاريع الجريئة و«الدونكيشوتية» مبادرات لرفع مستوى التعريف بالأدب الغرائبي الأميركي اللاتيني، كنا بعيدين عن افتراض أن سلطة تكاد تكون خفية، لكنها بالفعل ناضجة إلى حد الإزهار، ستكشف النقاب عن مؤامرتها السرية كرد فوري على ازدهار هذا النشاط.

إذن، عم تراني بصدد التحدث الآن؟ العشق المبرر لأدب الخيال الأنجلو ـ سكسوني، الذي سببه الجمود والكسل أو الجهل المطلق، أدى بنا إلى طريق مسدود لا منفذ جليا له، اتضح من خلال إغفال القراء لأي نص مكتوب في نسخته الأصلية باللغة الاسبانية. هذه التبعية المؤسفة والمحبطة في ذات الآن هي التي حددت لدينا عادات القراءة، إلى درجة أنه ما أكثر ما اعتبر منذ البدء أن قصة كاتب أمريكي إسباني منشورة في مجلة ما أو في إحدى الصفحات على شبكة الإنترنت، هي بديهيا قصة من «الدرجة الثانية».

ولهذا السبب قطعنا على أنفسنا منذ البداية، أن نحرض على قراءة المؤلفات المكتوبة في نسخها الأصلية باللغة الإسبانية وعلى التعاطي معها إيجابيا على كل الأصعدة بشكل يفصم مع هذا النوع من التبعية التي كنا خاضعين لسيطرتها علينا.

Twitter: @ketab_n

قد يبدو هذا بسيطا الآن، لكنه في البداية لم يكن إطلاقا كذلك. التوجس المماثل لذلك الإحساس الذي ينتابنا ونحن أمام طعام لم نذقه أبدا، يبدو رادعا إلى ما لانهاية. لكن الحركة تتجلى كلما سرنا أكثر إلى الأمام ولقد توخينا هذه الطريقة في اتصالنا بالكتاب الذين هم في نفس المنطقة اللغوية، وفي تقييم ما يكتبونه وطلب نصوصهم ودعوتهم إلى المشاركة. . . ذاك الذي بدأ كنشاط لنادي مطالعة، أو اجتماع شهري لمجموعة من المحبين، أو موقع ويب مكرس لكتابة الخيال سرعان ما اتخذ شكل حركة ذات نطاق واسع لا يزال إلى حد يومنا هذا من غير الممكن تصوره.

المصادر الجديدة للإلهام المواضيعي التي تم تزويد الكتاب بها عن طريق اتصالهم بزملاء من بلدان أخرى في المنطقة، إمكانية عقد حلقات وورشات عمل افتراضية وتلقي الآراء والنقد والثناء من طرف القراء العاديين (وليس الكتاب)، وخلق مجموعة متكاملة من الأنشطة المتجاوزة للحدود الإقليمية إلى حدود منطقة لغوية، وحتى أبعد من ذلك (في البداية، اقتصر الأمر على المنطقة البرتغالية، ثم امتد إلى غيرها من بلدان أمريكا اللاتينية)، كل تلك العوامل عملت بالفعل كمحرك خلق وظيفي.

بعض قليل من التاريخ:

في عام ١٩٨٣، أسست وأدرت مجلة تآزر/ Synergia التي كانت بطبيعة الحال، دورية ذات عدد محدود نسبيا من النسخ بما أن تمويل طباعتها كان ذاتياً. بيد أن الاسم أنجز فعلا وبوضوح الهدف الذي

Twitter: @ketab_n

كان يضج بداخلي ويحفزني. سينيرجيا كرست مقولة: «الجمع للحصول على نتيجة أكبر من مجموع كل عمليات الجمع.» من مجلة سينيرجيا مررت إلى ممارسة نشاط شبه وظيفي. ومن خلال هذا، أسست مجلة برزخ/ بارسيك/ Pársec التي طبعت منها ستة أعداد في عام ١٩٨٤. نشرت أيضا مجموعة من القصص القصيرة «الأجساد المنبوذة/ حكايات يمكن الاستغناء عنها» كما أنني تواجدت ضمن العديد من الأنطولوجيات المختصة بتيمة الغرائبية. هذا «التعلم»، الذي كان يتوقف أحيانا بسبب حاجتي إلى توفير ضروراتي الحياتية بواسطة أنشطة أخرى مختلفة، مكنني من إنجاز العديد من المختارات الأدبية ذات نفس تيمة «الغرائبية والخيال العلمي» ثم من عودة سينيرجيا على شكل مجلة إنترنتية، في هذه السنوات الأخيرة.

ما أكتبه لكم الآن هو مجرد مقدمة بسيطة أريد أن أستهل بها هذا التتويج لجزء صغير جداً من العمل الذي تم إنجازه، أنا لا أطمح إلى أن يكون بياناً أو حجر زاوية أتوق من خلاله إلى الريادة أو شيء من ذاك القبيل؛ بيد أنه ليس ثمة ما هو أهم من الوصول إلى قراء ينتمون إلى منطقة لغوية وثقافية عربية نحن لا نعرف عنها غير النزر القليل كما أننا شبه مجهولين بالنسبة لها. ووفقا لذلك، فإن هذه الخطوة تعتبر جسرا نود لو أننا نقطعه في كلا الاتجاهين المتقابلين... سيكون من الرائع اقتراح إنجاز أنطولوجيا لكتاب عرب ونشرها في الأرجنتين والمكسيك وإسبانيا...

لهذا السبب، سأكتفي بختم مقدمتي الموجزة بتسمية هؤلاء الذين شملتهم هذه اللائحة المختصرة في المؤلف الذي بين أيديكم وأولئك

Twitter: @ketab_n

الذين قد تضمهم مختارات مقبلة. ممثلين لأدب يرد بألف صوت على ضغوطات عصرنا وبآلاف من الطرق المختلفة لرؤية الواقع، بالخصوص عن طريق الخيال والافتراض والتنبؤ، نرى أن الكتاب الإسبانيين الأمريكيين جاهزون لإسماع أصواتهم وتبليغ رؤاهم من خلال أدبهم الإنساني في كل أصقاع العالم. لقد حافظنا على ترك الأبواب والنوافذ مغلقة لوقت طويل، بسبب التوجس وانعدام الجرأة والجهل والإهمال. وقد حان الوقت الآن لفتح كل ما كان موصداً على مصراعيه. هنا والآن أنتم ستقرؤون قصصاً لفرناندو سورنتينو (الأرجنتين)، ودانيال سالفو (البيرو)، وخوسيه فيسنتي أورتونو(إسبانيا) وكلاوديو بيوندينو (الأرجنتين)، وفلاديمير هرنانديز (كوبا)، روبرتو دي سوزا كوزو (البرازيل)، كلوديا كورتاليزي (الأرجنتين)، لويس فارجاس سافيدرا (شيلي)، والذي أنتم بصدد قراءة مقدمته سيرجيو غوت فيل هارتمان (الأرجنتين).

أقترح الآن حجز كرسي للقراءة في المستقبل القريب، لأليخاندرو ألونسو (الأرجنتين)، وطارق كارسون (أوروغواي)، جيزيل أرونسون (الأرجنتين)، وأنطونيو مورا فيليس (كولومبيا)، دانيال ألكوبا (الأرجنتين) وخورخي دو أبرو (فنزويلا)، خوان بابلو نورنا (كوبا)، خوسيه موريسيو شفارتز (المكسيك)، سانتياغو إكسيمينو (إسبانيا) وفابيو فيريراس (الأرجنتين)، وأرييل كروز (كوبا)، ورامير صانشيز (أوروغواي)، نانيم ريكاكص (الأرجنتين)، لويس زاراتي (المكسيك)، ألفريدو ألامو (إسبانيا)، خوسيه ألتاميرانو (الأرجنتين)،

Twitter: @ketab_n

أنطونيو سيبريان (إسبانيا)، كلوديا بيلا (الأرجنتين)، يوس (كوبا)، ريكاردو كاستريللي (الأرجنتين)، وبيدرو فيليكس نوفيو كاستيلو (بيرو)، غيلدا مانسو (الأرجنتين)، إستيبان دبلن (كولومبيا)، دانيال فريني (الأرجنتين) وجيراردو بوركايو، فرانسيسكو كونستاناتيني (الأرجنتين)، بابلو دوبرينين (أوروغواي)... ويمكنني أن أسترسل، وأواصل وأواصل على نفس المنوال إلى أن أسمي هذه الأصوات الألف التي أخبرتكم أعلاه عنها.

فلتقرؤوا ولتستمتعوا بطريقتنا في رؤية الواقع انطلاقا من الخيال! أنا متأكد من أن تجربتنا، بالإضافة إلى كونها غريبة، سوف تبدو لكم مثيرة، ثرية ومسلية.

سيرجيو غوت فيل هارتمان

ترجمها عن الإسبانية: الأرجنتينية جاك فيونتيألبا

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

يوم من ضمن أيام أخر

الكاتب الأرجنتيني: سيرجيو غوت فيل هارتمان/ Sergio Gaut vel Hartman: ولد في بيونس آيرس بالأرجنتين سنة ١٩٤٧. نشرت أعماله الإبداعية الغزيرة منذ سنة ١٩٧٠ في أهم مجلات أدب الخيال العلمي في الأرجنتين وإسبانيا وبلدان عديدة من العالم كما أدرجت نصوصه القصصية في الكثير من الأنطولوجيات.

أصدر مجلتي «تآزر/ Synergia» التي ما زال يديرها إلى الآن، و«برزخ/ Parsec» وأنطولوجيات «مرحلة/ Fase».

نشرت المينوتورو Minotauro مجموعته القصصية الأولى «حكايات يمكن الاستغناء عنها» سنة ١٩٨٥. كما أنه ستصدر له خلال الأيام القريبة القادمة روايته «لعبة الزمن» التي رشحت لنهائيات مسابقة المينوتورو وتحصلت على الجائزة الثانية. تحصل أيضا منذ أيام قليلة على جائزة إينيوتوس Ignotus الإسبانية عن بحثه «عوالم الخيال العلمي».

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

حدث ذلك في أول أيام الخريف، أو إن شئتم لنقل إنه يوم الثالث عشر من أيلول. لا يهم. الأمر هو نفسه. ليلة دون موسيقى كي يزيد اللبس. شنت الحرب في مكان ناء، لكن ليس بدرجة كبيرة ما دمنا قادرين على سماع نحيب المحتضرين. هل تعرفون كيف يحدث هذا؟ الحرب تبدأ في مكان ما، هنا، هناك أو في موضع آخر، غير أنها تمتد دائما تماما مثل بقعة زيت على سماط من قماش الكتان... هي تتقدم... تتقدم أكثر... تقترب من مدينتك، من حيك إلى أن تصل إلى باب منزلك. الحروب فيما قبل أو الآن لها نفس الوجه المألوف جدا: جماجم موتى مسلوخة تقر العزم على الإقامة في غرفة جلوسك، تصر على التهام عشائك، وشرب مدامك ومضاجعة زوجتك بعد أن تكون قد وضعتك في مصب للنفايات، تماما مثل أي أثاث منزلي بال.

فجأة، ألفيتني أمشي دون أدنى شعور بالانشراح في الطريق المعتم لحي فقير بالضاحية. كنت متيقظا في كل خطوة أخطوها، وكنت أيضا متفقا مع رأي كل الذين يؤكدون أننا بصدد حضور إشارات لانتحار جماعي. توقفت عند زاوية طريق، قرب نافذة

Twitter: @ketab_n

مشرعة. دون تردد، ودون أدني إحساس بالحياء وجدتني أعاين غرفة حيث يجلس شيخ في كرسيه الهزاز، جاسئا مثل صخرة، بصره زائغ في الفراغ وهو يهزج بنبرة نائحة نغمة أكثر طعنا من الريح في القدم. لم أفهم كيف قدرت على معرفة أن هناك رابطا بين الأغنية والعجوز والحرب التي تدور رحاها بعيدا جدا عن هنا. التشكيلة المطابقة تقريبا لتلك التي كانت قد نتجت لسنوات كثيرة خلت تستحضر اليوم الذي وجد خلاله جدي نفسه مأخوذا في شبكة ظروف مماثلة، فجائية مشاكسة وعدائية أدت إلى موته. حدت بنظري عن النافذة وأنا مثبط العزيمة ومحبط. «لكي نتذكر، لسنا بحاجة ملحة للأعين» قلت لنفسي. وددت لو أنني أقتلع عيني وأخبئهما في جيب معطفي لكنني لم أفعل شيئا آخر غير التفكير في ذلك. عموما، انهمرت التفاصيل بنظام دقيق كما الآلة تماما. يبدو أن الغريم كان قد سدد ضربته الأولى.

لماذا مات جدي؟

أردت أن أقول إنني لا أسأل عن السبب الميتافيزيقي لموته. قد يحدث أن يكون أحد الكتب قد شرح ذلك بإسهاب أو أن الصدفة قد مست المكان بجناحها في تلك اللحظة. لماذا لم يتدخل أي من الحضور؟ لماذا لم تتدخل أي يد كان يمكن أن تعرف كيف تطوي الفضاء، تجعل القنبلة تنحرف عن مسارها أو تثبتها في الهواء دون أن تنفجر على بعد بضع سنتيمترات من رأسه؟ فكرت في ذلك وما زلت أفكر إلى حد الآن وكلما حدث الذي كان يجب أن يحدث.

Twitter: @ketab_n

كان الرجل العجوز يهتز برفق في مقعده وهو يغني كما كان يمكن أن يفعل جدي، وفي ذات الحين كانت الطائرات تنفصل رويدا رويدا عن السماء الصاحية مثل قطرات زيت على شكل عناقيد. يبدو أنني بصدد تخيل أن ذلك لا يعدو أن يكون لعبة للروح لذلك لم يكن بإمكاني رؤيتها. ذاك صحيح، بيد أنني سمعت صوت الانفجارات المقترب شيئا فشيئا. شممت رائحة الدماء وكنت قادرا على مسك الفضاء المتصلب بأطراف أصابعي. لماذا كنت بحاجة لعينين إذن؟

جدي لم يكن قادرا على معرفة كم يلزمه من الوقت قبل أن يتفكك الجحيم: كان هادئا وساكنا، ينتظر ساعة شرب كأس شايه المعتاد. ما كان يعرفه جدي ليس أكثر مما يعرفه الرجل الجالس الآن في مقعده مثل غائب يترنم بلحنه القادم من الأزمنة السحيقة. الحرب بعيدة. إنه بلا شك يتصور ذلك دون أن ينتابه أدنى شك أو لعله لا يفكر إطلاقا في الحرب. هو ربما يفضل التفكير في كوارث أخرى قريبة وملحة بدرجة أكبر كأن يتساءل مثلا إن كان بمقدوره أن يقتني الدواء أو شيئا ما من مواد غذائية يسد به رمقه. ينتابه خوف ناهش من أن يطرد ركلا من هذه الغرفة التي لم يدفع إيجارها منذ ثلاثة أشهر لأنه يقبض معاشا بائسا. الحرب بالنسبة له شيء غير مرئي، غير موجود. هي لا شيء.

في هذه اللحظة، فهمت أن غريمي، أيا كان جنسه، ينتظر أن أتحرك.

حسنا: علي أنا أن ألعب إذن. العجوز يهدهد نفسه ويغني.

Twitter: @ketab_n

بحثت عن مكان يمكنني الجلوس فيه فوجدت سلة تفاح فارغة. فحصتها لأتحقق من إمكانية تحملها لوزني ثم جلست داخلها في وضعية مماثلة لجلسة لاعب الشطرنج. ضغطت بكوعي على فخذي وبرأسي على كفي بطريقة جعلتني أشكل من رسغي كوبا. كنت أعرف أن مراقبا ما كان يمكن أن يرى في نسخة للوحة لبيزهان شفيلدز[1] المعنونة بـ «مشكل وقت». كنت في وضعية الرجل المرسوم في اللوحة. كم أحب تلك اللوحة! التحليل، التفكير، التبصر، الضربة القادمة... نحن دائما نفكر في الضربة القادمة وكأنها ستحل كل المشاكل التي أوجدتها مشاكل سبقتها. ركزت النظر على العجوز من الناحية الأخرى للنافذة فانبثق لي الثالث عشر من أيلول من سنة تسعة وثلاثين وتسعمائة وألف. رأيته بدقة صارخة وبوضوح إلى درجة جعلتني أحس معها أنني لست بحاجة إلى عينين، تماما مثل لاعب شطرنج متمرس ينظر إلى كل مربعات الشبكة المتقاطعة التي تمثل النقلات الممكنة للقطع.

كان ذلك في الثالث عشر من أيلول من سنة تسعة وثلاثين وتسعمائة وألف. قرية فرامبول[2] الصغيرة، مقاطعة لوبلين، بولونيا

---

(١) لبيزهان شفيليدز: رسام ولد سنة تسعة وعشرين وتسعمائة وألف بإحدى القرى الجبلية بجورجيا. عضو في اتحاد الفنانين بالاتحاد السوفيتي سابقا. أقام العديد من المعارض في جورجيا وأرمينيا وأذربيجان وسوريا والعراق. من أهم أعماله: بلبلة وقت أو لاعب الشطرنج، في الجبل، الأم، الرسام العجوز...

(٢) فرامبول: قرية توجد في مقاطعة لوبلين البولندية. قصفتها قوات السلاح الجوي الألماني في خضم الحرب العالمية الثانية. =

Twitter: @ketab_n

(بولندا)، ثلاثة آلاف نسمة، لم يكن ثمة عسكري واحد، لم يكن هناك أي مركب صناعي من شأنه أن يعتبر هدفا، لم يكن ثمة أي مدافع من الجيش البولندي. . . شطبت قرية فرامبول من الخارطة يومها بعد أن دكت على بكرة أبيها تحت قصف السلاح الجوي الألماني الذي كان يقوم بدورة «تدريبية». وقع الاختيار على القرية التي كان يقطن بها جدي لأن الطائرات تحلق فوقها بسرعة ضعيفة مما يجعلها في مأمن من نيران بطريات المدفعيات المضادة كما أن موقعها المركزي كان نقطة التوجيه الأمثل لقاذفات القنابل. عندي صورتان للقرية: واحدة قبل القصف وأخرى إثره. في الأولى ترى المدينة وفي الثانية لا يرى غير بقعة ضخمة بيضاء وبضعة خطوط داكنة تتجمع الآن مثل كدس فشار[1] أو ألواح شكلاطة.

رفعت رأسي وتمعنت في السماء الزرقاء، الصافية. . . لا غمامة واحدة. . . في هذه الآونة، الليلة الوديعة النقية وهدوء الجو العميق يعلنان أنني مخبول. . . لقد تخيلت حربا وزورت بعض الصور كي

= في العام ١٩٣٩، قام هتلر بالمطالبة ببعض من أراضي بولندا وقام بالتوقيع على اتفاقية «عدم اعتداء» بين ألمانيا والاتحاد السوفييتي كرد على اتفاقية الدّفاع المشترك بين كلّ من بريطانيا، فرنسا وبولندا. في الأول من سبتمبر ١٩٣٩، قامت القوات النازية بغزو بولندا، وبعدها بيومين، أعلنت كلّ من بريطانيا وفرنسا الحرب على ألمانيا. وفي غضون أسبوعين من الغزو النازي لبولندا، قام الجيش الأحمر السوفياتي بغزو بولندا أيضا. قبل أن يتسنّى للجيش البريطاني والفرنسي القيام بهجوم لدحر الغزو النازي لها، كانت قوات السلاح الجوي النازي قد انتهت من السيطرة على بولندا وشطبها من الخريطة بسبب قصف القنابل التي دكتها.

(١) الفشار: حب الذرة يشوى حتى يتفتق.

Twitter: @ketab_n

أحس بأنني ضحية مظلمة فظيعة. عملية الغش كانت مضاعفة. لقد وصل بي الأمر أنني تخيلت حربين وزيفت ملايين الصور كي أعمق إحساسي بأنني ضحية العديد من مظالم ليس لهولها حدود. مسألة تناسبات. طيب. العقارب تدور. يجب علي أن ألعب أو أخسر الجولة، أرد الفعل في المدة التي خصصها لي رقاص الساعة. أعرف مشكلا مشابها لمشكل اللاعب في اللوحة. رأيت العجوز الذي ظل في نفس الوضعية، غريبا وغائبا عن كل شيء. مثل المتباهي بكونه لاعب الشطرنج الذي يدرك أنه كلما مر الوقت انحصر التفكير في الرقاص لا في الجولة. إلا أنه يجب اتخاذ القرار... التحريك... التحريك... تحريك القطعة... تحريكها.

تركت وضعية التأمل التي كان خلالها رسغاي مثبتين على فخدي ورأسي بين يدي. شددت كل عضلاتي وقفزت حتى النافذة المفتوحة وكأنني أقفز في لوحة لبيتر بول روبينز[1] أو لدييغو فيلازكيز[2] أو لأحد الفنانين ممن يرسمون لوحات عظيمة خالدة.

عندما رآني أقتحم هدوء غرفته، نظر إلي الرجل العجوز بعينين

---

(١) بيتر بول روبينز: رسام باروكي فلاندري عاش بين سنتي ١٥٧٧ و١٦٤٤، أنتج أعمالا هامة في مواضيع شتى كما رسم العديد من البورتريهات. تناول في رسوماته الدين والأسطورة والتاريخ وقد نال حظوة كبيرة بين معاصريه من الفنانين التشكيليين. (من أهم أعماله: شمسون ودليلة، عشق السحرة، إنزال الصليب...)

(٢) دييغو رودريغز دي سيلفا إي فيلازكيز(Diego Rodriguez de Silva y Velazquez): ولد في ٦ حزيران ١٥٩٩ في إشبيلية وتوفي في٦ آب ١٦٦٠ بمدريد (هو رسام إسباني من أشهر أعماله لوحة البابا إينوسنت العاشر، واستسلام بريدا، وخادمات الشرف (في أعماله تقنيات استثنائية وبراعة في استخدام الإضاءة. يعد من أشهر فناني الأسلوب الباروكي.

Twitter: @ketab_n

جاحظتين. كنت حقا دخيلا متطفلا. . . كنت أبدو كلص يريد أن ينهبه القليل الذي يملكه. كانت أول حركة أتيتها هي محاولة التهدئة من روعه. وضعت سبابتي على شفتي وباليد الأخرى أشرت له بأن ينتظر ويبقى هادئا كما رجوته أن يثق بي. رسائل كثيرة في وقت واحد وبيد مفردة. لكن الأمر سار كما ينبغي. استرخى في مقعده وتهيأ لسماع براهيني لكن لم يكن ثمة من براهين، انتزعته بسرعة من مقعده وحملته فوق كتفي. كان أخف من زغب ريشة. اجتزت به الغرفة آملا في أن يكون الباب غير موصد بالمفتاح. لحسن الحظ، لم يكن كذلك. خرجت إلى الشارع وطفقت أجري.

لم يحتج الرجل العجوز بيد أنني كنت أحس رعبه من خلال جسده المشدود. خشيت أن يتبول على كتفي لفرط توتره ولكن ودون أي تفسير أحسست كلما تقدمنا مسافة أكثر أنه صار أقل توترا. جريت متجاوزا ـ لا أدري بالضبط ـ عشر أو خمسة عشر تجمعا سكنيا. انقطع نفسي فتوقفت في زاوية الشارع وأنزلت العجوز أرضا.

ـ لماذا فعلت هذا؟

ـ اسمع جيدا! أجبته وقد وضعت يدي على أذني في شكل بوق ثم طلبت منه أن يفعل مثلي. بعيدا كانت تسمع انفجارات القنابل الأولى.

ـ هل هو الرعد؟ قال الرجل ذلك وهو يبحلق في الفضاء. كانت السماء صافية دون ظلال وكانت النجوم تبدو متدلية مثل مصابيح. فأردف:

Twitter: @ketab_n

ـ منذ قرون، لم نر ليلة مثل هذه. هذا لا يمكن إطلاقا أن يكون رعدا.

ـ هذه قنابل. رددت عليه باقتضاب إذ لم يكن في نيتي أن أشرح له أي شيء.

ـ قنابل؟

ـ أجل قنابل. كررت القول وأضفت:

ـ هو القصف. ثمة حرب. لا أدري إن كانت جديدة أو أنها تلك الحرب الأزلية.

لم يكن من السهل استيعاب الأمر. وصلت إلينا ضوضاء الطائرات الألمانية التي عادت إلى ارتفاعها بعد أن أفرغت حمولتها. حلقت في اتجاه الشمال تاركة وراءها الهدف المدمر وألسنة من النيران والدخان تتماوج وتتصاعد إلى السماء كأنها كائنات قادرة على امتصاص النور والتهام كل الألوان، وكل ما هو زاه وحتى طنين الهواء.

ـ هل قصفوا بيتي؟ قال الشيخ المنهك ثم أضاف:

ـ ماذا فعلت لهم؟ أنا شخص جيد، رجل متقاعد لا يقدر على الإساءة لأحد.

أحطت كتفيه بذراعي وجذبته إلي:

ـ أنت لم تفعل لهم شيئا... لا شيء... هل فهمت؟ لا أحد اقترف ذنبا في حقهم... أبدا... لكن ذلك لا يهمهم إطلاقا. لنذهب... تعال معي... سوف أعرفك بشخص ما.

Twitter: @ketab_n

ـ من تكون؟ هل أنت ملاك أم شيطان؟

ـ أنا إنسان وحسب. هل تؤمن بتلك الأشياء؟

ـ لا... إذن من تكون؟

دون أن أنبس ببنت شفة أخرى قدته من خلال الطرق المقفرة حيث لا شيء يخيم غير الوحدة والوحشة. الصمت ينتشر ممتدا، سرمديا رغم أنه ودون شك توجد قناطر عديدة تمر بواسطتها فرق الإطفاء المتوجهة حيث الحرائق في المناطق المنكوبة. وجدنا نفسينا في منطقة معتمة. الشاحنات والسيارات كانت دون شك قد اضطرت إلى الانعطاف وتغيير اتجاهها. تركنا خلفنا سلسلة ممرات ملتوية ترامت فيها القاذورات. هناك، الأرضية المبلطة تبدو مبللة وبراقة، الأضواء تدور في مفترقات الطرق وحيدة وغير ذات جدوى. عندما وصلنا إلى منزلي كانت قبة ذات لون أحمر متوهج تغطي كل الناحية وتقذف بظلال عملاقة كما لو كنا في سهرة صيفية.

في ظلمة الغرفة الحالكة، كان جدي جالسا في كرسيه الهزاز وهو يدندن بلحن أعتق من الريح.

ـ جدي!صحت به دون أن أعرف الكلمة المناسبة بلغته التي لا أعرفها. Dzeide أجل هو ذاك.

نظرة الرجل تضيء كل المشهد. هنا أيضا، ليس ثمة من حاجة لعينين. يبدو أنه يقول ذلك. بيد أنني كنت على يقين من أنه لم يسمع الكلمة التي ناديته بها.

ـ من هذا؟ سألني العجوز الذي كنت أحمله.

Twitter: @ketab_n

ـ هو جدي الذي توفي في بولندا في الثالث عشر من أيلول من سنة تسعة وثلاثين وتسعمائة وألف عند قصف فرامبول إحدى قرى إقليم لوبلين لكنه الآن هنا. لا أعرف كيف حدث هذا. الظاهر أنني نجحت في تحويل مسار درس التاريخ أو أنني أكاد أفعل.

كنت أتكلم بعجلة واندفاع. المعجزة المفاجئة تتجاوز كثيرا ما كنت أنتظره. كان جدي ينظر بعينيه الجاحظتين لفرط دهشته. هو انتبه إلى أنه ليس بمنزله في الشتيتل[1] حيث ولد وحيث يتصور أنه سيموت لكن ليس بتلك الطريقة طبعا.

ـ كيف حالك يا جدي؟ قال العجوز الذي أنقذته من موته المحتم آناء حرب أخرى. ومد له يده مصافحا. فتح جدي فمه ونطق ببضع كلمات غير مفهومة. كان طبعا يتكلم اليديشية[2] لكن بنبرة لم يكن بإمكاني تمييزها.

ـ ماذا قال؟

ـ لا أدري. أنا أيضا لا أفهم هذه اللهجة.

ـ لا تفهم جدك؟

ـ لا أفهم شيئا مما يحدث. المفروض أنه لا يمكن أبدا أن يكون هنا. هو مات منذ أكثر من ستين سنة.

---

(١) الشتيتل: هو حي أو مدينة صغيرة لتجمعات اليهود في أوروبا الشرقية قبل الحرب العالمية الثانية.

(٢) اليديشية: اللغة اليديشية هي لغة الجيتو. وهي لغة اليهود الإشكناز في شرق أوربا منذ العصور الوسطى حتى العصر الحديث. تنقسم إلى لهجات تكتب بحروف عبرية في كل من ألمانيا وليتوانيا وبولندا وأكرانيا وغيرها من تجمعات اليهود.

Twitter: @ketab_n

نظرت إلى العجوزين فتأكدت من أن ثمة بينهما تشابها غريبا يدعو إلى الشك. كانت الإضاءة خافتة لكنني بعد لحظات أحسست بتوازن يشوبه بعض التوتر وأنا أتتبع ما سيحصل دون أن أفقه شيئا. هل يمكن وفقا لهذه الحالة التأثير على عناصر الماضي؟

ـ الماضي ليس مكانا متصلبا. قال العجوز في صدى أفكاري وهو يترك نظراته تجول في كل نواحي الغرفة ثم ركزها على شاشة التلفاز الفارغة. حدق فيها وقد علت وجهه علامات الغم والسخط بينما كانت أظافره تحز سطح الطاولة. الهدير لا يطاق. الصورة الوحيدة التي تشكلت في ذهني كانت لكوخ مملوء بالجثث.

ـ شاج.

بدا لي بعد ذلك أن جدي يناديني. أشرق وجهه بشدة ونظر بانتباه للعجوز الآخر.

ـ أنا لا أؤمن ولا أثق بالمعجزات. قلت معتذرا. لكن يجب أن نعطي اسما أو تفسيرا لما يحدث لنا هنا.

لقد ذهبت بعيدا بالكلام لأنني رأيت الاثنين يحدقان في وقد ملأتهما الدهشة.

ـ أنا جاهل لكنني كنت دائما أظن أن مثل هذه الأشياء يمكن أن تحدث. قال الرجل العجوز.

ـ ما هي الأسباب التي تجعل هذه الأمور لا تحصل بطريقة أخرى.

ـ شاج. كرر جدي مرة أخرى.

Twitter: @ketab_n

ـ وهذه الكلمة، هل تفهمها؟ قال لي العجوز.

ـ أجل. أظن ذلك. نطق الكلمة متشابه في كثير من اللغات. هي تعني الشطرنج.

ـ تريد أن تلعب دور شطرنج؟

التمعت عينا العجوز أيضا. ذهبت نحو الخزانة حيث كنت أخبئ رقعة الشطرنج المصنوعة من الخشب. تقليد جيد لنموذج رقعة ستونتون[1] التي صنعها لي حرفي من جليو[2]. وضعت رقعة الشطرنج والعلبة على الطاولة وبدأت في تنظيم القطع. كانت عيناي تساهمان في هذه العربدة الضوئية. كل تلك العيون تشع إلى درجة أنه كان بالإمكان الاستغناء عن المصابيح.

ـ هيا فلتبدآ!قلت لهما بعد أن صارت القطع الاثنتان والثلاثون في خاناتها المخصصة لها. هيا العبا.

ـ أليس لديك ساعة؟ سألني العجوز. بدا أن جدي فهم ما قاله فهز رأسه مستحسنا المبادرة. تنهدت وتناولت من الخزانة الساعة القديمة التي أعطاني إياها الدكتور كامبوس قبل أن يذهب للإقامة في ألمانيا. عدلت الساعة وأنا أهمس لي إنني سأكون عرضة للاحتجاج بسبب أن الساعة ليست إلكترونية.

---

(١) هوارد ستونتن: (نيسان / ١٨١٠.... ٢٢ حزيران ١٨٧٤) لاعب شطرنج بريطاني مشهور وبطل غير رسمي للعالم في تلك اللعبة. كان كاتب عمود في صحيفة وأديبا من مريدي شكسبير. اسمه صار يحيل على الطراز الذي ابتدعه لقطع الشطرنج: نموذج ستونتن.

(٢) جليو: إحدى ضواحي العاصمة الأرجنتينية بيونس أيرس.

Twitter: @ketab_n

ـ هل من شيء آخر؟ لعلكما تريدان مقعدين وثيرين أو حكما محترفا؟

ـ دعك من هذا الغباء. قال لي الرجل العجوز. ألا ترى أننا بصدد اللعب؟

ـ مباراة شطرنج؟ رددت عليه.

ـ وهل ترى غير ذلك؟

هز العجوز رأسه وبدأ اللعب. تبعه جدي. بعد أربع أو خمس نقلات، صرت متيقنا من أن كليهما يعرفان اللعبة بما فيه الكفاية. متغيرة نجدورف[1] الكلاسيكية في إطار الدفاع الصقلي. لكن ذلك كان غير اعتيادي. ندجروف قدم من بولندا إلى الأرجنتين في الرابع والعشرين من آب من سنة تسعة وثلاثين وتسعمائة وألف كي يرمى بنفسه في دوامة دورة الأمم المنظمة آنذاك في بيونس أيرس. في الثالث عشر من أيلول انتصر نجدورف في هذه الدورة على إلمار رود، لاعب ألماني، من يدري إن كان نازيا أو لا! عملية ثأر ميجال نجدورف الصغيرة كانت ضعيفة جدا أو قل منعدمة مقارنة بتدمير فرامبول. من ضمن الموتى كان يوجد العديد من أبناء عمومته. بعد وقت قصير، ماتت كل عائلة دون ميجال بمخيمات أوشويتز أو داشو. طردت من مخيلتي كل ما من شأنه أن لا يقوم المشكل من

---

(١) نجدورف الصقلية: هي إفتتاح لعبة الشطرنج وهي شكل متغير للدفاع الصقلي التي تأخذ اسمها من اللاعب العالمي الكبير البولندأرجنتيني ميجال نجدروف Miguel Najdorf.

Twitter: @ketab_n

أجله. في الثالث عشر من أيلول صارت تلك المتغيرة غير موجودة حتى لمبتدعها.

المباراة الدائرة بين العجوزين تتواصل وفقا للقوانين الأرثوذوكسية الصرفة. ظاهريا، كان الاثنان يلعبان بمهارة أنا في كل الأحوال لا أمتلكها. عندما وفق العجوز في مبادرته الناجحة، رفع إلي بصره ونظر في عيني مباشرة ثم قال:

ـ يجب توطيد الوضعية.

ـ يجب تدعيمها. كررت لنفسي. يجب تفادي كل المجازفات. كما أنه يجب أن لا نظهر الكثير من الجسارة. يجب توطيد الوضعية. ترى هل يقول هذا الذي أنا بصدد افتراضه؟

المباراة ما زالت جارية. منزلي مغمور تماما بالماضي. الجولة التي كان العجوز يلعبها والتي أدت إلى انهيار القطع السوداء هي ذاتها التي كانت خلال قصف السلاح الجوي الألماني لفرامبول تحت عنوان تمرين تدريبي. الضربة التي قام بها العجوز والتي أراد بها أن يوطد الوضعية كانت عملية تشبه رابطا يوحد فرامبول ببيونس أيرس وسنة تسعة وثلاثين وتسعمائة وألف بالحاضر. القرية التي كان يقطن بها جدي نجت من القصف لأن الطائرات رغم ضعف سرعتها لا تقدر على رؤيتها. الساحة المركزية لم تكن لتمثل فعلا نقطة توجيه مثالية لطواقم الطائرات، هي كانت بالنسبة لها دون أية قيمة. لم يكن هناك ساحة... لم يكن ثمة قرية أصلا. أتخيل علامات النفور على وجوه الطيارين، لكن فعلا لا شيء يهم.

Twitter: @ketab_n

كما أن وضعية المباراة بين العجوز الذي اقتلعته من حرب خائضة وجدي الذي اقتلع هو الآخر من حرب بعيدة بواسطة قوة لم أفهمها رغم أنها ودون شك تعمل بكل فعالية ونفوذ لا تهمني كثيرا. هل تفضلون الحديث عن سحر ما؟ أنا، لا. أنا شخص لا يؤمن بمثل هذه الترهات بيد أن ثمة شيئا كان جليا: طالما أن الشيخين يلعبان الشطرنج فإن الجسر لن ينقطع بين الحاضر والماضي.

أشرت إليهما أن يواصلا اللعب بكل راحة بال. اثنان، مائة، مليون جولة. لا شيء يدعو إلى العجلة. توجهت إلى المطبخ وانهمكت في صنع الشاي. تأكدت من أنه يوجد ليمون (البولنديون يشربون الشاي بكثير من الليمون). لم أنس أن أتساءل إن كان الشاي بالليمون سيروق للعجوز الآخر. تحسرت لأنه لم يكن عندي سماور[1] كالتي كانت إحدى عماتي قد أصرت على أن تهديني إياها لكنني رفضت لأنني وجدت ذلك مدعاة للهزل شيئا ما. في آخر الأمر، نحن لا نفعل إلا ما نقدر عليه. غليت الماء ثم ذهبت لأبحث عن الشاي في الخزانة. العجوزان منغمسان ملء تركيزهما في اللعب. لا شيء يدعو إلى العجلة. ليت هذه المباراة تدوم أزلا.

(١) سماور: غلاية روسية للشاي.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

وانغلقت الحلقة

«مساء الخير، هل تتذكرني؟» قال الرجل القصير القامة ذو الشعر المجعد والبشرة الداكنة وهو يقطع على الكولونيل جورج إيريبارين سيره. كان يرتدي قميص طيار وسروالا من قماش الكتان المشمع وجزمة جلدية.

ـ لا، لا أذكر أنني رأيتك... رد العسكري. هل كان يجب علي أن أفعل؟

ـ أجل أظن ذلك. قال الآخر ثم مد سيجارة من جيب قميصه الداخلي وأشعلها بنفس اليد بخفة مراوغة أو بشيء يشبه ذلك في نظر إيريبارين. وأردف:

ـ أنت قتلتني منذ زمن.

انتظر الكولونيل بضع ثوان. الغسق يسلمه لظلام الليل. قبل أن يجيب، نظر إلى السماء والقمر في صحو يتجلى بين بنايات الشارع الممتد.

ـ آه أجل! رغم أنه ليس في ذهني ذكرى معينة. لقد قتلت أشخاصا عديدين مثلك لكنهم في العادة لا يعودون كي يحتجوا على ما وقع. هل أنت حقا متأكد مما تقوله؟

Twitter: @ketab_n

ـ تقصد إن كنت متأكدا من أنني ميت أو من أنك المسؤول عن موتي؟

ـ من الاثنين. رد إيريبارين دون أن يبدو عليه أدنى اضطراب.

لقد وجد نفسه طوال حياته في مواجهة إشكاليات ويمكن أن يكون ثمة ما هو أدهى من مهووس بالكذب.

ـ لعلك تتذكر إن أنا قلت لك اسمي.

ـ لا أظن ذلك. قال إيريبارين بعجالة.

ـ لا يهم. في الحياة كنت المقدم سامبيدرو.

قفز إيريبارين خطوة على الجانب، ببساطة، كي يتجنب العقبة ويكمل الطريق. فضل أن لا ينتظر أكثر. هو يعتبر أنه رغم غرابة الوضع تصرف بدقة دون أن يبدر منه أي وقاحة أو عدوانية هما في الحقيقة من طبعه. لذلك عندما نحا المدعو المقدم سامبيدرو نحوه وقفز سادا أمامه الطريق، ظن أنه لم يعد هناك مطلقا مجال للجلد والتريث.

ـ حيا كنت أو ميتا، أنت تمنعني من مواصلة طريقي. أسرتي تنتظرني. قلت لك قبل قليل إنني لم يسبق لي أن تعرفت إليك، أو إنني أعي قتلي لك أو إعطائي الأمر بذلك. ليس لي علاقة البتة بموتك لذلك أطلب منك من جديد وبكل لياقة أن تترك سبيلي وتفسح لي الطريق.

تلك الكلمات الأخيرة كان لها رنة عالية ارتج لها المكان ليس بنفس درجة باقي مفردات الجملة.

Twitter: @ketab_n

في نفس اللحظة، وكما لو أنها تلقت أمرا من إشارة أو برنامج، أضيئت كل مرايا منتزه «المصالحة الوطنية» العاكسة في نفس الآن. كأن برقا قرر فجأة أن يخلد ضوءه قبل أن ينعتق.

طرفت عينا إيريبارين فابتسم سامبيدرو. وراء المقدم، يصطف حشد من الرجال والنساء المتجهمين المتشنجين. ثمة أطفال... ثمة نساء ورجال طاعنون في السن.

ـ خير حضرة الكولونيل بين أن تراني مخطئا في اتهامي لك أو أنك لست الذي قتلني. هذه مناسبة فريدة لتصويب الخطأ. أنا على يقين أنك قتلت الكثيرين من هؤلاء الأشخاص... ما لا يحصى ربما، رغم أن واحدا منهم فقط كاف، كاختبار لذاكرتك... ألا تظن ذلك؟

شحوب القمر الذي كسا وجه إيريبارين يظهر بوضوح جلي في هذا المرة أن مبادرة سامبيدرو أثرت فيه. الحشد يبدو مستنفرا ومطالبا بتسوية الحسابات، حساباته هو بالخصوص على كل التصرفات التي عرفوها عنه فيما مضى من الزمن. أمواتا أو أحياء، هم كانوا هناك. ورغم ذلك، قرر أن لا يرضخ، معتبرا أن كل ما أتته يداه لا يعدو أن يكون تنفيذا لأوامر رؤسائه. ولأنه كان وفيا لنفسه كأحسن ما يكون، قام بهجوم مضاد.

ـ أتذكر بعض هؤلاء، ذوي الأسماء التالية: برنال، روزا نارنجو، برناردو زلنسكي، طفل كانوا يطلقون عليه لقب ميتراي ومارسيلو كاردوزو. هل هم موجودون بين كل هذه الحشود من الحاضرين؟

Twitter: @ketab_n

جمعهم بحركة واحدة من يده.

ـ هل هذا كاف لإدانتي؟

ـ ها هم هنا... قال سامبيدرو بلهجة صارمة. أما بخصوص إن كان هذا يكفي أو لا فسوف نرى ذلك لاحقا.

انفصلت خمسة خيالات عن المجموعة وتقدمت بعزم ثم انتصب ثلاثة منها على يمين سامبيدرو والاثنان الباقيان على يساره. المرأة تمسك بيد صبية، زلنسكي عجوز هرم، ميتراي وبرنال مراهقان...

ـ هل أنتم الذين سميتهم؟ سأل إيريبارين. أنا لا أتذكركم. الآن، أنا لا أستطيع أن أسترجع ملامحكم.

ـ الدماغ ينتقي. قال سامبيدرو متأملا. من المستحسن إسقاط بعض الأحداث من الذاكرة. ومن وجهة النظر هذه، ليس هناك أجدى من أن ننسى وجوه الذين قتلناهم... ألا تظن أن ذلك هو الأكثر صوابا؟

إيريبارين لا يكابد الأمر ولا يبدو عليه أي شعور خاص جراء رؤيته محاطا بأشخاص لا يؤكدون وحسب أنهم قادمون من عالم الأموات لكنهم يتهمونه بالإضافة إلى ذلك بقتلهم. لا شيء فارق هنا وهو يعرف لماذا.

ـ والآن؟ قال. هم يريدون الانتقام؟ أليس كذلك؟

نظر الخمسة إلى بعضهم وقد ظهرت عليهم الحيرة. تكلمت المرأة، روزا، فاصمة للصمت الذي خيم على المكان:

Twitter: @ketab_n

ـ هل تظن أننا لن نفعل ذلك. نود أن نقطعك إربا دون أدنى شعور بالندم أو الاشمئزاز. لكننا لن نفعل. الموتى لا يقدرون على القتل.

ـ بل أنا واثق من ذلك. قال إيريبارين. الموتى لا يقدرون على القتل.

وجهه الجامد الخالي من أي تعبير لا يفشي ما يعتمل بداخله من مشاعر غامضة بدأت تنهش دواخله.

ـ ألا تحس بالخوف؟ قال له برنال.

هو الآن يعطي بكل وضوح الانطباع بأنه إنسان بسيط ومتزن وهادئ... لم يعد طفلا كما أنه لا يبدو عليه إطلاقا أنه من النوع الذي يغلب عليه الهذيان أو ذاك الذي يمكن تصفيته كما لو أن الأمر يتعلق بصرصور.

ـ الخوف من كابوس؟ تقطب وجه إيريبارين وكشر. كانت تكشيرته على وشك أن تفرج عن ضحكة ما لبث أن أجهضها.

ـ هذا فعلا ما تحسه الآن. قال سامبيدرو. أنت تظن نفسك في حلم.

قضم المقدم شفته العليا وظل على تلك الحال لبضع لحظات. خمن إيريبارين أن غريمه لا يقدر المسار الذي آلت إليه الأمور. هو واثق من أن هذه الوضعية كانت مقصودة مسبقا بيد أن المقدم ليس لديه وسائل لإقناعه، هو المدعو بالكولونيل جورج إيريبارين، بأنه ليس بصدد الحلم، وأن الأمر لا يتعلق بأحد الكوابيس التي سرعان ما ستتبدد آناء الاستيقاظ.

Twitter: @ketab_n

ـ هل أنا أحلم أم أنني أهذي؟ قال إيريبارين بإصرار. الكابوس يأخذ أشكالا متعددة بما فيها هذه الهلوسة التي ابتدأت عندما اعترضت طريقي رغم أنني لا أتذكر بالضبط ما حدث من قبل. رؤيتي كانت مشبعة من خلال نقطة محددة في الماضي وبعدها كان الثقب في الذاكرة. بيد أنه ثمة شيء أنا على يقين منه: أنت من خلق روحي. أنت لست موجودا إطلاقا.

ـ روحك الجريحة، روحك العليلة تقصد؟ يحاول سامبيدرو من جديد أن يستعيد المبادرة، أن يضرب بقوة، لكن إيريبارين متأكد من أنه لن يتوصل إلى اختراق درعه. هو يعرف أنه عنيد، صلب وقاس... قاس جدا. شبح ميت لا يملك أن يفعل له شيئا.

ـ أجل كل هذا من اختلاق روحي.

نظر إيريبارين دون خشية ولا هزل إلى الخمسة الواقفين على شكل مروحة مبسوطة. هذا الأمر خطط له منذ مدة طويلة والضربة تم الترتيب لها بإتقان مفرط. يجب أن يؤدى الجميع أدوارهم كما ينبغي للتمكن من تخويفه.

ـ ماذا تقصد بقولك هذا؟ تقدم زلنسكي خطوة واحدة ومد ذراعه. كانت يداه ضخمتان بشكل رهيب كما أنه كان يقدر بإحداهما على خنق إيريبارين.

ـ هل تظن أنك ستقدر على حل كل هذا بادعائك الجنون؟

ـ أنا لا أؤمن أبدا بوجود الأشباح. قال إيريبارين. كما أنني،

Twitter: @ketab_n

إضافة لذلك، لا أؤمن لا بالإثم، ولا بالأساطير أو بالعذاب. الشيء الوحيد الذي أؤمن به، قليلا، هو الموت.

ـ لكل هذه الأسباب، قال سامبيدرو، أنت تقنع نفسك بأنك في حلم. يا لك من إنسان بائس!

بدا إيريبارين غير متأثر. هز كتفيه بلامبالاة وقال:

ـ ليس ثمة عندي من تفسير آخر. يكفي أن أبذل مجهودا كي أستيقظ. ما أكثر ما حدث لي هذا سابقا.

أغمض عينيه وضغط على جفنيه بقوة. رسمت على جبهته خطوط شبيهة بالنجوم. أكمل ثؤلولان أو ثلاثة ثآليل وندبة التركيبة. بيد أنه عندما فتح عينيه، لم يتغير المشهد. لأول مرة يحدث له ذلك على ما يبدو.

ـ مشبعة أو غير ذلك... قال له سامبيدرو... الذاكرة يتفاقم إصرارها. هل بقي لك من شيء؟ اسمع: ثقبا كان أو ليلة سوداء، أنت لا تحلم. أنت لست مجنونا. أنت لا تهذي. ماذا تبقى لك؟

ـ عفوا، أنا فعلا لا أفقه شيئا مما تقوله. لعلني غارق في حالة ارتياع يحث عليها مخدر تناولته. الأغلب أن ذلك هو الذي يحدث لي الآن. قد يكون أحدهم أعطاني مخدرا كي يجبرني على عيش هذه التجربة، لكن مفعولها لن يستمر أزلا. سوف أخرج منها. تأكد من أنني سأخرج.

استعاد المقدم سامبيدرو انفاسه.

ـ هذا أقوى مما تتصور. الذي نحن بصدد صنعه لك ليس

Twitter: @ketab_n

كابوسا. أبدا كولونيل إيريبارين... إنه يماثل السجن الذي ستبقى فيه أبدا. أنت لن تقدر أبدا على الخروج منه لأننا سنستميت في حراسته.

ـ سأخرج منه. رد إيريبارن بكل هدوء. لا تكن غبيا. سوف أستيقظ..

صمت ثم أخرج سيجارة. هو لا يقدر على الخداع البصري وألعاب الخفة لذلك استعمل عود ثقاب. وعوض أن ينفث كامل الدخان بنفخة واحدة، مد يده المرتعشة قليلا والماسكة بالسيجارة مشيرا إلى سامبيدرو وقال:

ـ سأقول لك ما أنا فاعل كي ننهي وللمرة الأخيرة هذه الأوهام. أنتم أموات أكثر من الموت. رفاقي وأنا قمنا بالواجب. ما سينجم عن ذلك هو أنني سأمر من خلال أجسادكم وما إن أجدني في الناحية الأخرى حتى تختفوا جميعا تماما مثل دخان السيجارة.

ـ لا تكن واثقا كثيرا من ذلك. رمقه زلنسكي قائلا. أنت إن ارتطمت بالموتى فسيكون ذلك فعلا مشكلا حقيقيا بالنسبة لك. ألا ترى ذلك صحيحا؟

استرجع إيريبارين المشكل من قاعدته. ما قاله الميت هو عين الصواب: يجب عليه أن يتحمل عواقب المجازفة ويبدي مقاومة شبيهة بصلابة الجدار. ولكن إن عارض الموتى حزمه القوي ماذا عليه أن يفعل؟

ـ لست بحاجة لاستعراض قوتك. قال له سامبيدرو بحيوية.

Twitter: @ketab_n

صدق ما أقوله لك وارضخ بهدوء لقدرك. ألم يخطر أبدا على ذهنك أنه سيقع استجوابك على كل أعمالك؟

أحس الكولونيل بموجة لا تقاوم تغمر فمه: قهقهة عالية لم يقدر هذه المرة على حبسها.

ـ القصاص؟ هل كنت تظن أننا فعلنا ما فعلنا كي نقضي بقية عمرنا ننتظر أن نعاقب بنفس الإرادة التي كانت تتسلح بها أذرعنا؟ نحن نعرف متى يسري الله في أوردتنا مختلطا بدمنا. وأنتم؟ هل ارتبتم لحظة من قتلكم لأهلنا؟ دينكم ألم يكن يشبه ديننا؟

هذا الإطار حيث يحتشد آلاف الموتى والقاتل واقفين منتصبين ومصففين تماما كما لو أنهم قطع مكونة لرقعة شطرنج أصبحت في الحال مكانا للمواجهة. منتزه المصالحة الوطنية صار من جديد ميدانا شاسعا وساحة للمعركة. من نفس الحنجرة، حنجرة الحشد المجتمع تنبثق صرخة واحدة جعلت الكولونيل لا يقدر على حبس الارتجاف الذي اعتراه.

ـ نحن لا نرتاب. قال أخيرا سامبيدرو.

ـ ولن نرتاب لما سيلي. فال زلنسكي وهو يشهر قبضته على بعد بضعة سنتيمترات من أنف الكولونيل.

جحظت عينا الكولونيل فاندفع الموتى إلى الوراء.

ـ هل فهمتم الآن؟ قال لهم. أنتم لا شيء غير دخان، ضباب، بخار وتكثيف لظنوني أنا وحدي. إنني لن أقبل بأن ينتابني أي إحساس بالذنب لكل ما اقترفته... لكل ما اقترفناه.

Twitter: @ketab_n

ـ نحن نخوض مقابلة متعادلة يا إيريبارين. قال سامبيدرو وهو يعود إلى وضعيته السابقة. لكننا نسجل فائدة دنيا أو لنقل أسبقية طفيفة. هل تتقن لعبة الشطرنج؟

ـ ما المقصود بهذا الكلام؟ أعرف لعبة الشطرنج لكن ماذا يهمك من الأمر؟

ـ إذن، قال سامبيدرو في الحين، ستعرف أن لاعبا ماهرا قادر على رؤية التنسيق الرابح في اللحظة الحاسمة والحساسة. التماثل والتوازن، هل أنت على دراية بهذا أيضا؟

ـ اغربوا عن وجهي! هل هذا هو الانتقام، إبقائي هنا دون إرادتي وإزعاجي تارة بضروب من الأحجيات وبالتهديدات المتسترة تارة أخرى؟

انفجر سامبيدرو ضاحكا وتبعه آخرون كثيرون ممن حوله لكن ضحكاتهم لم تكن لتشي بكثير من ثقة ويقين.

ـ أنت تقتني الأشياء بأبخس الأثمان.. تشتريها تقريبا بلا ثمن بيد أنك تبغي بيعها بالذهب. لا يا إيريبارين، سوف يكون من الغباء بل ربما من الإفراط في الابتذال أن تظن أننا سنرضى بأن نجعلك تعيش هذه المشكلة وكأن الأمر لا يعدو أن يكون كابوسا.

ـ سحقا لكم! هذا كابوس. سوف أستفيق وسوف تعودون إلى العدم الذي وفدتم منه!

ـ هذا ليس كابوسا يا كولونيل. قالت روزا.

ـ هذا ليس كابوسا. كرر برنال وقد تردد لصوته صدى عال.

Twitter: @ketab_n

ـ هل تظنون أنكم ستجعلونني أرضخ بتكراركم لنفس الكلام. عندما تقولون ألف مرة: «هذا ليس كابوسا... هذا ليس كابوسا.....» هل تتصورون أن ذلك كاف؟

غمرت وجه إيريبارين تقطيبة وقحة فصيرته مثل لطخة.

ـ زيادة على كونكم موتى، أنتم حمقى، بل معتوهون. الأمور لا يمكن أن تسير بهذه الطريقة. أنا رجل محترف، أتصرف وفقا لقناعاتي. إذا كان يجب علي أن أعيد كل ما قمت به فإنني سأعيده. هل تتصورون أنكم الوحيدون أصحاب إيديولوجيا ما وقيم ومصالح؟

ـ منذ قليل فقط، قلت إنك لا تؤمن لا بالذنب ولا بالألم وهذا ما يسمح لي بالظن بأنك لا تؤمن بشيء تقريبا. زأر في وجهه سامبيدرو. أنت بالكاد تؤمن بالموت. أنت الذي قلت ذلك وليس أنا. والآن تتحدث عن الأفكار والقيم...

ـ أنت لن تقدر على إقناعي بمبارزة فروسية شفهية يا سامبيدرو. أنت أسأت اختيار فريستك في هذا الشأن. لماذا لا تبحث لك عن قروي جلف مثل الجنرال بوزي أو الكولونيل إستيفاز؟ معهم كنت تستطيع آداء هذه اللعبة حد الإشباع كما بين قط سيء وفأرة جيدة. إنما ليس معي أنت ستقدر على تحقيق ذلك. أنا أقرأ، وأدرس. معركتي معكم تسمو كثيرا على الذفاع عن مصالح المجموعات الاقتصادية. هي حروب صليبية خضتها يا سامبيدرو وأنت لن تهزمني هكذا بكل سهولة.

Twitter: @ketab_n

عاين سامبيدرو رفاقه ثم هز رأسه علامة الموافقة. لكن زلنسكي أخذ الكلمة.

ـ أنت لا تقدر على تخيل ما ينتظرك.

نظر إيريبارين إلى زلنسكي وكأنه يشهر في وجهه سيفا ليطعنه.

ـ أنتظر أن أستفيق جيدا. أنتظر أن تغيبوا عن أفقي. أنتظر أن أقطع هذا المنتزه الرديء وأصل إلى منزلي، أن ألتقي عائلتي، أن أتعشى وأقرأ قليلا قبل أن أنام. أنتم تفتقدون كل هذا دون شك؟ بينما أنا أملك كل شيء، كل ما فقدتموه بحوزتي الآن. إذن أنا المتفوق عليكم... أنا الذي انتصرت. سحقا لكم!

مرر الكولونيل إيريبارين يده على وجهه كأنه يريد اقتلاع قناع، ضغط على أنفه بإصبعيه ثم حرك رأسه في كل الجهات. دوت قرقعة فقراته في هدوء الليلة الدافئة.

ـ لا كولونيل، قال سامبيدرو. الجولة ما زالت متواصلة وعندنا حظوظ كثيرة كي نفرض نتيجتها.

دون أن يعلن عن ضربته، هجم الكولونيل إيريبارين على صف الموتى الأمامي لكنه لم يكن بالسرعة الكافية كي يفاجئهم. تنحى الموتى عن طريقه فتعثر الكولونيل وسقط بكل ثقله بين الأشجار الملتفة الأغصان. سمعت قهقهات ما لبثت أن خنقت في الحين.

ـ لا تحاول إثبات أننا أشباح. قال زلنسكي. الأمر لا علاقة له بما تتصوره يا إيريبارين.

نهض إيريبارين بوقار ودون أن يستدير توجه رأسا نحو منزله.

Twitter: @ketab_n

كان على يقين بأنه لم يترك وراءه غير نتف هذيان في طريقها إلى التلاشي والتحلل. كان لا يريد القبول بفكرة وجود الوصايا القديمة لسقط المتاع ممن كان بينهم.

كانت المغامرة المزعجة تفقد سماتها الواقعية كلما اقترب إيريبارين من منزله. هو يعرف أن اليومي بأشيائه الموجودة في أماكنها المعتادة سوف يمحي ما بقي من آخر هلوساته. ولكن ماذا سيحدث إن كان ذلك الهذيان حقيقة فعلا؟ ذاك كان التفسير الوحيد لكل ما حدث. معرفة ما ينتظره هناك طمأنه قليلا. تذكر أصغر التفاصيل وبدقة مدهشة. ذلك الجرد البسيط يؤكد له أن قدراته الذهنية بكل خير. الحديقة، الكلب، كانون الشواء، شجرة البرتقال والصندوق الذي يحتوي على الأسلحة، كل تلك الأشياء تعيده إلى الواقع. إذن هو على يقين بأنه كان يعيش كابوسا أو مفعولا مكدرا لعارض لا يمكن أن يكون له أي تفسير منطقي. فكر في لوسيا المغتاظة قليلا دون شك بسبب تأخره في العودة واضطرارها لإعادة تسخين العشاء وفي مارتيتا التي تفرك عينيها وتغالب بصلابة رغبتها الملحة في النوم، في غونزالو السريع الانفعال والمطيع في ذات الآن لأوامر أبيه الذي لا يخرج مع رفقته دون أن يحييه ويتبادل معه بعض الكلام. هذه الأشياء المتقنة التنظيم لم توجد إلا لكي تستمر، قال لنفسه.

الارتجافة الوحيدة التي اعترته مند قليل تعبره من جديد من قمة رأسه حتى أخمص قدميه عندما لمح منزله. كانت كل أضوائه مطفأة وكأنه خال من سكانه. كل الذي حدث الليلة محض ظلم. بين الحياة

Twitter: @ketab_n

السابقة والحياة الأزلية، العلوية التي تلي الحياة الحالية، ليس ثمة غير أحداث بسيطة قابلة للتقدير كما يمكن توقعها. هو لم يبحث أبدا عن غير ذلك. رمش بعينيه فسطعت الأضواء على شكل برق تماما مثلما حدث منذ قليل في المنتزه. هل ثمة مشغل عديم الكفاءة يتنقل بين ظلال شجر الصفصاف، أو قاطع أخرق لا ينفك يعبث ناسيا التخطيط المناسب لعناصر العرض الذي سيقدمه؟

استعاد إيريبارين أنفاسه بسرعة وجعل يلف الأمتار الباقية بخطى واثقة، نباح بسمارك الدلماسي الذي اشتم رائحته عن بعد جاء كي يضع حدا للعلامات اللامرئية. سمح للكلب بأن يرتمي عليه مثل بهلوان متوقد النشاط عندما فتح باب الحديقة المشبك ثم مد يده كي يبعده. واثقا، أولج المفتاح في القفل دون أن يقدر على أن يمسك نفسه عن إطلاق صرخة:

ـ لوسيا، لقد عدت!

ولم يجبه غير الصمت. ليس صمتا مطبقا ولا عنيفا. لكنه صمت غريب مكون من جزيئات أصوات لامتناهية في صغرها. أصوات تتكور على نفسها، أصوات لعب تتزحلق على كدس رمل، أصوات تقذف بها يد رعناء في كل أنحاء البهو، أصوات غريبة، صماء. الأصوات التي تصدر عن ممثلين عندما يرون بعضهم وسط الديكور، أثناء فترة الاستراحة بين فصلي المسرحية. قال ذلك من جديد لنفسه. تطرقت إلى ذهنه أفكار مشوشة وملتبسة. عقدت الأسماء في حنجرته. لوسيا، مرتيتا، غونزالو... أراد أن ينطقها دون أن يجد القدرة على ذلك.

Twitter: @ketab_n

ـ ها أنا ذي، قال صوت خشن لا يخلو من فظاظة. انبجست المرأة من غبش المطبخ وهي تجفف يديها. كانت تجر رجليها وكان نفسها قصيرا. إنها روزا نارنجو.

ـ ماذا تفعلين في بيتي؟ أراد إيريبارن أن يصيح فيها غير أن الكلمات التي علقت بين حنكه واللثة لم تبلغ شفتيه. فهمت المرأة رغم ذلك دمدمته.

ـ ماذا أفعل في منزلي؟ ردت. أنا في المطبخ أجهز الأكل لسيدي متى عاد في أي ساعة.

ـ أين لوسيا؟

ـ لوسيا، من؟

ـ والأطفال، أين هم؟

ـ أنا هنا. قالت الطفلة التي كانت روزا تمسك بيدها أمام المنتزه.

نظر إليها إيريبارين لأول مرة. سمراء بعينين كرويتين لا تشبه مارتيتا في شيء. بيد أن الطفلة لم تترك له مهلة:

ـ مارسيلو لا يريد أن يسلفني بعض أدواته.

مارسيلو... أدوات... هذا غير معقول. ماذا يحدث؟ أين اختفى الحقيقيون؟ لوسيا، مارتيتا، غونزالو؟

ـ أبوك قدم دون أن يخبرنا بذلك مثل عادته. قالت المرأة.

أبي؟ أدار إيريبارين رأسه ونظر إلى الجدران وكأن أباه يمكن أن يكون معنيا بالمؤامرة هو الآخر.

Twitter: @ketab_n

ـ هو في البهو الصغير يلعب الشطرنج مع مارسيلو.

قرر إيريبارين أن يداهم الأمور.. وثب نحو الباب بكل عنف وفي اندفاعه بعثر كل قطع الشطرنج. اللاعبان كانا زلنسكي وميتراي.

ـ ما جدوى كل هذا الغضب؟ قال العجوز. ماذا أصابك؟

ـ الذي أصابني؟

ألقى إيريبارين نظرة مندهشة على البيادق الأربعة التي، وللصدفة الغريبة الماكرة، ظلت متجمعة فوق السجادة البيضاء.

ـ أولاد العاهرة! القاذورات!

ـ ما بك جورج؟ إنك ترعبني! قال زلنسكي. مارسيلو أبوك.....

ـ مجنون؟ هز مارسيلو رأسه وقال: أبي ليس مجنونا. فقط هو مشوش ومنزعج من أمر ما قد يكون حدث له في المنتزه. أليس كذلك يا أبي؟

ـ لم يحدث لي شيء في المنتزه. ماذا تتصور أن يحدث لي؟

تحول إيريبارين دون أي ضجيج من مكانه ثم أطلق يديه مثل سوطين. كان أول من اندهش عندما لمست أصابعه حنجرة العجوز ثم التفت على بعضها كي تكون حلقة فولاذية. في الخارج كان بسمارك ينبح.

ـ ماذا تفعل؟ تمتم العجوز.

أبعد مارسيلو ذراعي إيريبارين دون أن يبذل جهدا كبيرا، خاصة

Twitter: @ketab_n

وأن ذاك الأخير وفي غمرة رعبه فقد القدرة على الفعل. مقاومة اللحم. صلابة الفقرات والنتوء الشائك للرقبة. ملامس مرعبة لكابوس لا يمكن الانتهاء منه.

ـ ماذا فعلتم به؟

ـ من تقصد؟ قال مارسيلو بهدوء.

مارسيلو كان يكبر غونزالو ببضع سنوات وكان أضخم منه كما أنه كان ذا دم بارد. لم يكن ليتأثر كثيرا إن هو قام بتصفية ابن إيريبارين.

ـ هل سنتناول الطعام أخيرا؟ نعم أم لا؟ جاء من جديد صوت روزا نارنجو القاسي سائلا. الصغيرة تكاد تموت من الجوع.

ـ أنت غير موجودة. قال مرة أخرى إيريبارين. لكنه بعد أن نطق بتلك الكلمات الثلاث، خفض ذراعيه. ليس بيده أن يفعل شيئا. طيب. قال. أنتم انتصرتم. تريدونني أن أقولها؟ ها أنا ذا أقولها. طيب أنا حيوان مضر... قاتل... أرجوكم وبكل تواضع سامحوني على كل ما اقترفته في حقكم، على تعذيبكم وقتلي إياكم. هل هذا يكفي؟ والآن ردوا لي عائلتي.

ذاك يبدو غير قابل للتصديق بيد أنه لا يمكن ابتكار منفذ آخر للخلاص. الأسلحة كانت بعيدة عنه وهي لا يمكن أن تصلح لشيء. هو متأكد من ذلك. لم يعد هناك من وقت لفعل أي شيء.

المخادعون، البدلاء، المهرجون، المختلقون يبدؤون في تحركهم وكأنهم تعلموا الرقص بخطى محسوبة في فضاء صغير بغير مرايا.

Twitter: @ketab_n

ـ نحن غير موجودين؟ كان زلنسكي هو الذي تكلم. كم يجب أن يكون ثمة من براهين كي تصدق ما يقع كما هو فعلا وليس كما تريده أن يكون؟ عائلتك؟ نحن عائلتك، عائلتك الوحيدة الممكنة. سوف تتعود على الحياة معنا. لا تنزعج.

ـ أنتم لستم حقيقيين. وأجهش إيريبارين بالبكاء. لقد قتلتكم. كنت ضاريا مع برنال ومع كل واحد فيكم. هل تريدون أن أسجل اعترافي كتابيا؟ هل هذا ما تبحثون عنه؟ تريدون أن أصرح بذلك للجرائد، للتليفزيون، تريدون أن أخضع لأسئلة مقابلات مسجلة. حسنا سوف أفعل. ماذا تريدونني أن أفعل من مزيد؟

ـ أيضا أرقام الذنوب التي أتيتها. قالت روزا وهي مقطبة الوجه دلالة على إعيائها. الآن مرة في الأسبوع وقريبا سيكون كل يوم.

ـ ماما ماذا أصاب أبي؟ قالت الصبية التي لم تكن مارتيتا.

رفع إيريبارين عينيه واعتدل قليلا:

ـ منتهى المهارة. جيد جدا. إذن أنتم العائلة الوحيدة التي أستحقها. لم يخطر على بالي أنكم يمكن أن تكونوا بكل هذا النبوغ أيضا.

ـ هل ترانا سنأكل في آخر الأمر؟ قالت روزا نافذة الصبر.

ـ لا، أنا لن آكل. قال إيريبارين. لدي أمور أخرى يجب أن أنجزها.

ـ الآن؟ ماذا ستفعل؟

Twitter: @ketab_n

ـ أكملوا لعبتكم المفضلة.

بدا أن الكولونيل استعاد أحد وشائجه التي بإمكانه تشغيلها في الحالات الاستعجالية. دار بظهره وغادر الغرفة. لا أحد حاول ثنيه عن إخراج سيارته من المستودع. لا أحد منعه من التوجه نحو الثكنة العسكرية. كانت ساعة ملعونة لا يمكن خلالها إزعاج الآخرين بيد أن الظروف تقتضيها.

قاد السيارة مثل ممسوس. تجاهل كل إشارات المرور والأضواء الحمراء ووصل في عشر دقائق. دخل في حين كانت الأصوات تزعق بالأوامر والعجلات تهدر لارتطامها بالحصى. ترك المحرك مشغلا وباب السيارة مفتوحا. اجتاز الدرجات الثلاث الأولى بوثبة واحدة. منقطع الأنفاس ومتفسخا، اقتحم مكتب بوزي.

ـ ماذا حدث لك كولونيل؟ هل أصابك مكروه؟

سحب سامبيدرو سيجارة من الجيب الداخلي لسترته وأشعلها بنفس اليد وبنفس الحركة التي لم يرها إيريبارين سحرية ولا خارقة. نظر الكولونيل في عيني الرجل القصير القامة، الداكن البشرة وذي الشعر المجعد... الرجل الذي يرتدي قميص طيار وسروالا من الكتان المشمع وجزمة جلدية.

أدرك منذ تلك اللحظة أن الحلقة وللمرة الأولى قد انغلقت تماما وأنه لم يعد ثمة قوة في العالم قادرة على إخراجه من حيزها وإعادة حريته إليه من جديد.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

تنكـــر

كان مشتت البال، غارقا في هلع مصيبة حديثة العهد، لذلك لم ينتبه إلى المتسول عندما ولج عربة القطار وهو يغمغم ببعض الجمل.

ـ ما من أحد بعثني. أنا أستجدي لنفسي. لنفسي فقط، أنا أطلب... قليلا من النقود رجاء.

الكلمات تخرج من بين شفتيه بعسر. يلزم قليل من الوقت كي يقع الربط بينها وبين الشخص الضخم المترجرج في الرواق على وقع سير القطار.

ـ ما من أحد بعثني. أنا أستجدي لنفسي. لقد تعرضت لحادث ويجب أن تساعدوني. قليلا من النقود، رجاء.

غريب! قال لنفسه. هناك شيء ما غير طبيعي في الأمر. نظر إلى المتسول عن قرب فأحس باختلال بين ما يكرره الرجل مثل طقطوقة وحركاته المتفحصة لكل ما يحيط به. كانت الساعة قد تجاوزت السادسة بعد الزوال، ساعة الذروة. العربة محتشدة بالركاب العائدين إلى منازلهم في الضاحية بيد أن المتسول كان يتنقل وكأن القطار خال تماما. هو يكذب، خمن ذلك. هو يتظاهر ليس إلا. لا شك أنه يمثل دور شخصية اختلقها كي يكسب مالا عن طريق التسول. لم

Twitter: @ketab_n

يفاجئه الأمر. حتى وإن كان ذلك يبين فولكلورا حضريا أو بالأحرى دراسة جادة، الجميع يعرفون أن التسول غالبا ما يمارس بطريقة أكثر حرفية ودقة من صناعة الساعات أو صيانة الأثاث المنزلي البديع. قرر أنه لا شيء يستحق عناء أن ينكل بدماغه من أجله. بحث في جيوبه عن بضع قطع نقدية وهيأ نفسه كي يمنحها له عندما يقترب منه.

كل شيء كان يمكن أن ينتهي عند ذلك الحد لو أن المتسول لم يطلق صرخة تعجب، دون شك بسبب حصوله على قطع نقدية مزيفة. هو لم يفاجأ بالتعجب الذي تملكه والذي غمر دواخله. لم يكن ليندهش حتى وإن كان التعجب قد جاء بلغة أخرى. الغرابة كانت في أنه وفي لحظة، في جزء من ثانية، تذبذب المتسول، إلى حد أنه يمكن تمييز ذلك فور النظر إليه، بشكل يظهر أنه تحت غلافه الإنساني يوجد هيكل اصطناعي أو شيء ما يمكن أن يكون شبيها بآدمي غير أنه ليس كذلك مطلقا. فرك عينيه، واكتنفته بلبلة شوشت فكره وكأنه كان من المنطقي أن يفسر الظاهرة على أنها لا تعدو أن تكون خداعا بصريا. لما صار المتسول على مقربة منه، حاول كشف علامة أخرى تجعل حقيقة طبيعة الرجل الماثل أمامه جلية لكنه لم ير غير شخص بدين، معوق بسبب إصابة دماغية قوية على ما يبدو. كان يجر رجله اليسرى وكانت يده اليسرى هي الأخرى تبدو وكأنها قطعة من اللحم الميت. صعوبة النطق كانت مقنعة بسبب تكراره لنفس الكلام. ببساطة، كان الصوت يزيد ارتعاشا كلما وصل إلى ذكر كلمة حادث. مد له القطع النقدية التي حضرها منذ قليل. توقف المتسول وقال:

Twitter: @ketab_n

ـ ليباركك الله وليعوضك عنها بأضعافها.

إثر ذلك وبحركة تكذب عاهة ذراعه، ضغط بقبضته على القطع فاختفت في لمح البصر. هو لم يضعها لا في جيبه ولا في القبعة المعلقة في حزام سرواله. هل مرة أخرى هذا الذي يحدث لا يعدو أيضا أن يكون خداعا بصريا؟ قال لنفسه إنه لن يخسر شيئا إن هو واجه الرجل. في أسوأ الحالات، هو سيحصل على إجابة غير مفهومة، غير مبرمجة أو لا شيء ربما. لكن المتسول كان قد أدار له ظهره وواصل طريقه حثيثا في العربة المحتشدة إلى درجة أنها توشك أن تفرقع بما فيها، جارا رجله ويده تتدلى رخوة واهنة عند آخر الذراع. كان لا يعتذر وهو يدفع الناس أثناء سيره. هو فقط يمر بينهم مثل آلة مبرمجة كي تنجز ذاك الغرض.

فصل عادي. كل شيء انتهى. هل ثمة من معنى لمواصلة المزيد من التساؤلات حول ما رآه هيكلا اصطناعيا متنكرا في هيأة متسول؟ آلة لطلب الصدقة... دهاء ليس مثله دهاء... ما إن تكمل مصاريف التصميم والصنع حتى تصبح مورد أرباح لا ينضب أبدا. شغل الآلة المتسولة، التي تظل فعالة لا سبيل إلى كللها على مدى أعوام طويلة، يمتد طوال الأربع والعشرين ساعة كامل أيام السنة. أما عن مصاريف الصيانة فهي زهيدة: الآلات لا تأكل، لا تنام، لا تتسلم رواتب، لا تحرر مطالب ضمانات اجتماعية، لا تطالب بعطل، لا تصاب بالمرض... لا تحتج... ممتاز!

أطرد الفكرة المفرطة في غرائبيتها من ذهنه وسارع بالارتداد إلى

Twitter: @ketab_n

الوراء للاستغراق في هوة حزنه العميق. في الواقع، ذاك ليس له أهمية حتى وإن كانت الحقيقة هي ما تخيله. إنه لم يكن ذا أهمية فعلا. إلا أنه وعندما مر المتسول في العربة الأخرى، تابعه بنظره. ثمة مصادفة هي في أبسط الأحوال مثيرة لحب الاطلاع. العربة الأخيرة التي سيعبرها تتوافق بالضبط مع وصول القطار إلى المحطة النهائية للخط. ثماني عربات، ثمانية عشر محطة. رياضيا، هناك امتياز دقيق مذهل لتناظر، هو في الواقع، يصر غالبا على مراوغتنا.

ما إن نزل حتى واصل تقصيه بما أنه وجد نفسه وراء المتسول الذي لا يبعد عنه أكثر من عشرين خطوة. الرجل (وهو لم يقدر على استيعاب فكرة أن رؤيته يمكن أن تكون حقيقة) ظل قرب الباب النهائي للعربة الأخيرة في القطار، تلك التي تصبح العربة الأولى عندما يعود القطار في الاتجاه المعاكس كي يذهب من آخر الخط إلى أوله ويصير بابها هو الباب الأول. الدقة الرياضية التي يبرهن عليها الأعرج ما زالت تصدم المنطق.

هيأته وسلوكه يوحيان بأنه يقدر، وإن بكثير من المشقة، على التصرف بنفسه غير أن الطريقة التي نظم، وفقا لها شغله، تظهر العكس. ظن أنه لمح في لحظة خاطفة تغيرا في الموقف عندما احتل المسافرون الجدد مقاعدهم لكنه لم يول الأمر أهمية. كان في تلك اللحظة قد قرر اقتفاء خطوات المتسول حتى آخر العالم إن لزم الأمر. لم يكن له شيء مهم يجب أن يقوم به كما أنه لا أحد ينتظره وفي كل الحالات من الجيد بالنسبة له أن يركز على مشروع مقتبس لرواية حتى وإن كان الأمر لا يعدو أن يكون وهما لمسالة مثيرة للسخرية.

Twitter: @ketab_n

كان القطار على وشك الانطلاق عندما، في آخر لحظة، صعد المتسول إلى العربة. حينها، ولأنه كان تائها في خضم أفكاره، رأى أنه عليه أن يجري كي لا يتركه يفلت من ملاحقته. وحدها المساعدة التلقائية لأحد الركاب مكنته من امتطاء القطار عندما لم يتوان ذاك الأخير عن كبح الباب الأوتوماتيكي كي يتمكن من الصعود قبل أن ينطلق.

عندما صار على متن العربة، ولأنه لم يجد مقعدا، جثم وتكور بطريقة تجعله غير مرئي إنما قادرا على مراقبة حيلة المتسول بكل دقة وتيقظ.

ـ ما من أحد بعثني. أنا أستجدي لنفسي. لقد تعرضت لحادث ويجب أن تساعدوني. قليلا من النقود، رجاء.

نفس المفردات، نفس التردد الغريب عند نطق كلمة «حادث» بالذات. بدقة ملحوظة، عبر العربة خلال المدة التي قضاها القطار في الربط بين المحطتين الأولتين. لأنه شعر بأن الإثارة المتزايدة التي سببها البحث عن حل للغز غير ذات معنى، تخيل ثلاث أو أربع نهايات ممكنة لها، منها ما يتضمن بعض المخاطرة التي قد تضر بتوازنه الخاص. هل هو يتصرف وفقا لتأثير تحريض انتحاري؟ استوعب تلك الفرضية، في بعض جوانبها على الأقل. جرحه الداخلي كان عميقا، هو من ذاك النوع الذي لا يمكن أبدا أن تلتئم جراحه هكذا ببساطة. لكنه على يقين بأن رغبته في كشف اللغز ستحمله إلى أية غريزة وخيمة العواقب.

Twitter: @ketab_n

مرة أخرى، يبحث عن المتسول. لا يراه على الفور. لا بد أنه في العربة الثالثة. إن اتبع هذا الأبله تصرفه المتوقع، ليس عليه أن ينزعج: هو لن يغيب عن ناظريه فعلا. اقتحم عليه بلبلته ريب جديد إذن. إذا كانت نظرية الهيكل الاصطناعي صحيحة فإن المتسول لن يبرح أبدا القطار أو هو على الأقل لن يخرج من محطات آخر الخط. سيظل رهين ذاك الصنف من المدارات المغلقة. من الأكيد أنه سيتواصل مع الموظف الذي يجمع الإيرادات أما بالنسبة له فهو لن ينجح في الحصول على أية معلومة أخرى. تلك حدوده الخاصة: أكل، نوم، تلبية حاجاته الطبيعية التي تنتهي بأن تجعله يفقد مسار الأعرج. هذا ليس له معنى إطلاقا. هو يلاحق شبحا. من الأجدر ترك ذلك قبل أن تشل الوساوس عزيمته.

ومع ذلك سمح لنفسه بأن يخوض محاولة أخيرة. لو أنه قطع البحث، بعد أن عرف الآن أنه لن يؤدي به إلى أية نتيجة، ولو أنه صادف بين المسافرين الآخرين واحدا يمكن أن يلاحظ تصرف المتسول الغريب قد يتحصل على إجابة تشفي غليله دون أن يذهب بعيدا أكثر. هذه الإمكانية شجعته على الدنو من أقرب راكب إليه.

ـ عفوا. قال لشاب ذي شعر أصهب مجعد كان طوال الرحلة يبحث عن وضع ملائم لحقيبة ظهره الكبيرة. هل رأيت ذلك المتسول الذي مر منذ حين. ذاك الرجل الضخم الذي كان يغمغم ويكرر جملا غير متصلة؟

نظر إليه الشاب مندهشا لكن لم يبد أن السؤال هو الذي فاجأه.

Twitter: @ketab_n

ـ أراه في كل مرة أسافر فيها. لم يعد يثير انتباهي. ماذا فعل؟

ـ فعل؟ هو لم يفعل شيئا لكن ما أود قوله من الصعب تفسيره. من الأكيد أنك سوف تظنني مخبولا أو أنه لي وساوس غريبة.

هز الشاب كتفيه:

ـ لقد سمعت ما هو أدهى من كل ما أتوقع سماعه.

ـ الذي أكابده هو إحساس كما لو أنه برق. رأيت شيئا ما على كثير من الغرابة عندما مر بجانبي منذ قليل ومن حينها وأنا أتبعه.

ـ إذن أنت تركته يذهب... إنه على بعد ثلاث عربات من الخلف الآن.

ـ لا يهم. أنا أعرف أين يوجد في هذه اللحظة. لكن ليس هذا ما يشغلني. هو يشتغل وفقا لانتظام آلي.

ـ آلة... روبوت متسول تقصد؟

في الحال، فهم الشاب.

ـ هذا يبدو غير معقول.

ـ أجل. أليس كذلك؟

كان القطار في كل محطة جديدة يصير أكثر ازدحاما ويصبح الهواء الخانق غير صالح للتنفس. تساءل كيف يمكن للمتسول احترام نموذجه: عربة في كل مشوار.

ـ وفقا لحسابي، قال مواصلا شرحه، في المحطة الثامنة تكون العربة الأخيرة قد وصلت مما يضطره لركوب قطار ينزل أو امتطاء القطار التالي الذاهب في نفس اتجاه القطار الذي كان يركبه.

Twitter: @ketab_n

ـ هل أنت متيقن مما تقوله؟ اسمع، يا هذا، أنا لا أعرفك. قد تكون أحد أولئك المجانين المستعدين لأي شيء كان. بالنسبة لي، المتسول لم يسئ إلي أبدا. هل يجب علي أن أختار بين الاثنين؟

ـ طيب. أنا أعتذر لحضرتك.

ـ لا. ليس ثمة من مشكل.

بدا أن الشاب أدرك كم كان فظا فحاول إصلاح تصرفه. مد يده وقدم نفسه:

ـ اسمي جوليان. أنا آخذ هذا الخط يوميا.

ابتسم:

ـ أدرس العلوم الاجتماعية في المركز.

ـ حسنا جدا! وأنا إيستيبان غاندولفو. مثلما ترى تماما، أضيع وقتي في الأمور التافهة.

ـ هل تنوي اقتفاء آثره؟

أشار الشاب بحركة غير دقيقة نحو الجهة التي يمكن أن يوجد فيها الكسيح في تلك الآونة. كل سؤال يورط في سؤال آخر. الأسئلة تتداعى.

ـ ليس ثمة من شيء أفضل يمكن أن أقوم به. فقدت زوجتي منذ شهرين. ما إن أصل إلى المنزل حتى أجدني جالسا في مقعدي كي أظل على امتداد ساعات محدقا في الفراغ. في بعض الأحيان أنتبه إلى نفسي فأشغل التلفاز وأظل مرة أخرى مبحلقا في الشاشة وكأنها

Twitter: @ketab_n

الفراغ. على الأقل هذا الأمر، حتى وإن كان أكثر بلاهة، يبدو لي على قدر لا بأس به من الأهمية. ألا ترى معي ذلك؟

ـ آسف، قال الشاب بعسر، إذ هو غير المتعود على التعبير عن المواساة بإتقان.

ـ ما من مشكل. آسف مرة أخرى لإقحامك في كل هذا.

أحكم الشاب وضع حقيبته على ظهره وتهيأ للخوض في المد البشري الهائل المغطي لكل فضاء العربة بيد أنه لم ينجح في السير خمس خطوات متتالية.

ـ سيكون ذلك عسيرا. إنه جيد التمرن.

ـ من الأفضل، على ما أظن، أن نعترض سبيله في المحطة الثامنة، خارج القطار.

ـ أجل، سيكون ذلك أحسن. عول علي.

ظاهريا، بدا أن جوليان قرر أن يثق بحدس المطارد. ما الذي استطاع اجتذابه إلى ذاك الاقتراح؟ هل كشف شيئا مهما أم أنه من ذلك النوع الرشيد لكن الذي يعلق بسهولة. أحس إيستيبان بأنه طريدة سلسلة انفعالات. نظرا لكون المتسول يمكن أن يكون على بعد خمس عربات، فإن له أن يتصرف في حدود مدة كافية كي يضع إستراتيجية معينة قيد التنفيذ. محطتان... واحدة ونصف بالضبط... ولذلك وجد إيستيبان وجوليان نفسيهما يفقدان وجهتهما عندما انتبها إلى أن المتسول رجع وهو يتقدم بصعوبة، دون أن يحترم لا الإيقاع ولا المسافات وهو يكرر طلبته:

Twitter: @ketab_n

ـ ما من أحد بعثني. أنا أستجدي لنفسي. لقد تعرضت لحادث ويجب أن تساعدوني. قليلا من النقود، رجاء.

ـ هذا الذي تحدثت عنه، أليس كذلك؟ قال جوليان.

ـ أجل هو بذاته. أكد إيستيبان،

لكن شيئا ما لا يتوافق. الأعرج لم يكن عليه أن يعود. لاحظ إيستيبان أن طريقة تصرفه لم تتغير أو على الأقل صار له ذاك الانطباع. بيد أن ذلك لا يطابق النموذج.

ـ عاد قبل أن يبلغ المحطة الثامنة. هل تراه انتبه؟ قلت إنه يعبر القطار في اتجاه واحد وإنه يغيره في المحطة الثامنة.

ـ هي فرضية وحسب. يبدو أنها ليست الصحيحة.

صار المتسول قريبا جدا. كان يجر ساقه ويده المتدلية في ارتخاء، يكرر نفس الخطاب ويتعثر كما دائما عند كلمة «حادث».

ـ إن لم يكن ثمة تكرار فليس هناك من سر. قال الشاب. رجل معوق يحاول كسب قليل من القطع ليس إلا.

ـ لحظة! الذراع...

ـ ما لها ذراعه؟

ـ كانت الأخرى.

بغتة، بدا أن سيدة ذات بشرة داكنة وأهداب طويلة مهتمة بالنقاش الدائر، ودون أن يطلب منها أحد، قررت أن تتدخل:

ـ لقد لاحظت ذلك أنا الأخرى، قالت، عندما مر آناء ذهابه

Twitter: @ketab_n

كانت الذراع والساق المشلولتان هما اليسرتان، والآن هو يجر جانبه الأيمن.

ـ صحيح!

دون أن يتعمق كثيرا، خلص إيستيبان إلى بعض الاستنتاجات التمهيدية: ثمة متسولان، هما تقريبا متطابقان. يعبران القطار في اتجاه معاكس كل على حدة لكن البرنامج لم يخطط على أساس: عربة كل محطة. كل واحد منهما يوافق قرارات مبرمج يشغله عن طريق توجيهه عن بعد. هذا ما يفسر تغيير جهة الذراع والساق المشلولتين.

غريب! الآن ليس لديه تفسير أفضل. جوليان والمرأة يبدوان على أتم اتفاق. هما يتبادلان وجهات نظرهما وهما يسبران حالة المتسول.

ـ سأذهب إلى ما هو أبعد، قالت، أظن أن ذاك الشيء ليس كائنا إنسانيا.

ـ هل تظنين ذلك فعلا؟ سألها إيستيبان، بصدق!

ـ ذاك سخيف، أليس كذلك؟

ـ لا أبدا. لقد أحسست أو أظنني أحسست شيئا من ذاك القبيل.

ـ صه! قال جوليان، ها هو قد عاد. لندن منه. ماذا يمكن أن يحدث يا ترى؟

ـ هو ذاك! لنخرجه من روتينيته.

بدون تردد، سحب إيستيبان ورقة مالية وليس قطعا نقدية من

Twitter: @ketab_n

الجيب الداخلي لسترته ووضعها أسفل أنف المتسول. رفع هذا الأخير يده اليسرى كي يتناول النقود وهو يردد الشكر بعنف:

ـ ليباركك الله...

لكن الورقة النقدية ذابت، اختفت بحركة بسيطة من قبضة اليد. لم يعبر المتسول عن أي اندهاش لكن صفيرا غريبا حادا، وكأن صماما قد حرر هواء كان مضغوطا، صدر عنه.

ـ إجابة وحيدة، ويصير المال ملكك.

ـ ماذا تفعل معه؟ قالت امرأة مسنة ذات شعر أبيض. لا تكن قاسيا. أعطه المال ودعه يذهب في حال سبيله بأمان. لا تستفزه. إنه بائس ذو عاهة!

ـ ما من أحد بعثني. أنا أستجدي لنفسي.

ـ إنه كاذب! هذه فقط آلة للتسول.

ـ أنا أستجدي لنفسي. لقد تعرضت لحادث...

ـ أنا لم أر أبدا شيئا من هذا القبيل! رددت السيدة العجوز حانقة. لا تجعلوه يتعذب، يجب أن يكون دنيئا كي...

ـ هو يستجدي لكيان غريب، لأسباب لا نعرفها. إنه ليس آدميا.

ـ ماذا تقولون؟ عم تتحدثون؟

رجل يلبس زيا موحدا أخضر وأصفر لمؤسسة تنظيف تقدم نحو إيستيبان بغرض ضربه. لا إراديا منعه الحشد من الوصول إليه. لكن بعض الأشخاص بدؤوا يستوعبون الحدث ويختلقون الأعذار

Twitter: @ketab_n

للكسيح. هذا الأخير بالنسبة لأحد الملاحظين كان ضحية سادي، شيطان أو أدهى من ذلك أيضا. حتى المرأة ذات الرموش الطويلة وجوليان بدآ ينظران إليه باحتراز وهما يسائلان نفسيهما إن لم يكونا قد انحازا لحلف الشر. هل هذا الرجل كان مخربا من قبل أم أنه فصل للحين عن التيار الكهربائي؟

ـ دعوه! ألا ترون أنه يدعو للرثاء؟ توسلت امرأة حامل. ألا تعرفون معنى لاحترام الآخر؟

وتعالت جوقة من الاحتجاجات مختلطة بضجيج القطار المواصل سيره، غريبا نائيا عما حدث فجأة بداخله من نزاع.

ـ يجب أن تساعدوني. قليلا من النقود رجاء.

ـ لننناد الحارس! صاح رجل سمين، طويل القامة، ذو رأس وشاربين سوداوين كثيفين. رجال الأمن! أين رجال الأمن؟

ـ انتظر! قال له إيستيبان المستند عند أحد الأبواب الأوتوماتيكية مجازفا بأن يرى نفسه مرميا على الرصيف في صورة توقف القطار المفاجئ. ضغط الحشد يزداد أكثر فأكثر وهو يرفع يديه ولا يتوصل إلى إقناع أي واحد من الركاب. بل بالعكس...

ـ أنا لا أرغب إطلاقا في الإساءة للكسيح. لكن أنصتوا إلي. ثمة شيء ما على كثير من الغرابة يحدث مع هذا الرجل. كل ما يهمني هو أنني أرغب في أن أفهم. هما أيضا لاحظا بنفسيهما، أضاف وهو يشير إلى جوليان وإلى المرأة ذات البشرة الداكنة.

ـ يجب أن تساعدوني. قليلا من النقود رجاء.

Twitter: @ketab_n

ـ ليس أنا، اعترض الشاب قائلا، أنا بكل بساطة تبعته حبا في الاطلاع وحسب.

أما المرأة فقد اكتفت بالصمت. هي استنفذت كل براهينها وأصابها السأم.

ـ ما من أحد بعثني، أعاد المتسول بإصرار.

توقف القطار في إحدى المحطات لكن الأبواب لم تفتح. تواصل التوقف لفترة أطول مما هو متوقع ولم يكن من الغريب التفكير في أن رجال الأمن المتحفزين للتدخل قد أحيطوا علما بالأمر الطارئ. الوقت يمر وإيستيبان لا يدري ماذا يفعل. لحسن الحظ، تناقصت عدوانية الجموع في خضم ضغط الانتظار. لكن لا شيء يضمن أن العنف لن يثار من جديد لأقل ذريعة.

ـ في العربة الأولى، صرخ أحدهم، هناك رجل يبحث عن خصومة مع البنغوين (البطريق)!

البنغوين، هل هو الاسم الذي أطلقوه عليه؟ عند هذه الفكرة، شعر إيستيبان ببعض التسلية، لكنه لم يتأخر في فهم أنهم يتهمونه عسفا بسلوك مخالف. ابتعد الناس عنه ونظروا إليه بامتعاض وحذر واستنكار. كانت الفرصة مواتية حينها. اختطف إيستيبان حقيبة جوليان الضخمة وممسكا بأحزمتها بيديه الاثنتين، قذفها على رأس المتسول بينما هو يردد للمرة الألف طقطوقته:

ـ لقد تعرضت لحادث.

ـ هذه واحدة أخرى لك، صرخ إيستيبان.

Twitter: @ketab_n

ارتطمت الحقيبة بقوة بالرأس فانفصل. طار مثل شهاب، ماسا في طريقه صفا كاملا من الأكف المصدرة رنينا موسيقيا. منفلتا من كل مراقبة، جعل جسد المتسول يدور. انهمر مطر من الصفائح والمكونات والمكثفات الكهربائية وقضبان المقاومة وأشياء كثيرة أخرى على الموجودين في العربة. سيل غريب من البراغي واللوالب والأقراص جعل يتقافز على أرضية العربة.

ـ قليل من المال رجاء، ما زال الجسد المقطوع الرأس يردد متوسلا.

استنتج إيستيبان أن مفتاح الاتصال موجود في مكان ما تحت الإبط. لكن هذا الاستنتاج صار في مستوى ثان عندما انتبه إلى أن كل المسافرين تقريبا ارتموا على مكونات المتسول الضائعة منه وأن آخرين أكثر جرأة جعلوا ينزعون أطرافه كي يستولوا على ذراعيه وساقيه. في الطرف الآخر للعربة، كان موظف خدمات التنظيف الذي يلبس بزة يتجاور الأخضر فيها مع الأصفر يعرض في احتفال بهيج الرأس ويدفع بجسده كل الذين يحاولون افتكاكه. عندما اطمأن إلى أن الجميع اعترفوا بحقه فيه، جعل يفك براغي رأسه ثم بدأ في محاولة تعويضه برأس المتسول.

ـ هذا الرأس لأحدث جيل! صاح بكل حماس.

حيي هذا الانتصار بموجة من التصفيق العريض. أغلب المسافرين كانوا غير مبالين بإيستيبان الذي كانوا يوشكون على سحله قبل بضع لحظات. الجميع كانوا منغمسين في مقارنة وتقدير أوزان

Twitter: @ketab_n

القطع التي جمعوها. لم يبق من المتسول غير قطعة من جذعه هي التي ظلت تصدر الصوت وهي التي، ويا للغرابة، لم يطالب بها أحد. انحنى إيستيبان فاستطاع أن يسمع، رغم أن حجم الصوت صار ضعيفا جدا حينها، إلى حد الخفوت طلبته:

«أنا أستجدي لنفسي.»

فتحت الأبواب أخيرا وساحت الحشود على الرصيف.

ترجم القصص عن الإسبانية الأرجنتينية:

بيار جان بروبو

Twitter: @ketab_n

عشيق إيرين

الكاتب البيروفي دانيال سالفو/ Daniel Salvo: ولد في مقاطعة بجنوب ليما في البيرو سنة ١٩٦٧. انغمس في النهل من كتابات أدب الخيال العلمي في مرحلة مبكرة من حياته. له العديد من النصوص المنشورة.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

إيرين تخونني مع رجل. لا يمكن أن يكون ثمة من تفسير آخر لتغير حالتها غير هذا الإحساس الذي ما أكثر ما ينتابني. كانت دائما تدندن ببعض الأغاني عندما تظن أنها بمفردها وكانت تقضي أوقاتا طويلة في تأمل غروب الشمس من حديقتنا. بعد خمس سنوات من زواجنا، صارت بهجتها المفاجئة وعنايتها بي مثيرة للسخرية وفي غير محلها. من الواضح أن إيرين كفت عن أن تكون سعيدة معي. كانت بكل بساطة تبذل ما بوسعها كي تحافظ على المظاهر، تماما كما لو أنها تعوض عن إحساسها بالذنب.

هذا الوضع يضعني في مواجهة خيار مزدوج. من ناحية، إحساسي المضحك بالشرف لا يجعلني أقبل بهذا الوضع ويمنعني من الموافقة على خيانتها ومن ناحية أخرى، أنا لم أعد أحبها لذلك فإن ما تفعله بحياتها لم يعد في الحقيقة يهمني في شيء. كنت تقريبا أرغب في دعوتها إلى الحفاظ على علاقتها بعشيقها في صورة ما إذا كان يروق لها. وكنت أرغب أيضا في أن تتركني بأمان وأن لا تشعر بأي ذنب. بيد أنني ما كففت عن التفكير أيضا فيما يمكن أن يقال. أخشى أن لا ترى إيرين في موقفي ذاك مجرد ضعف أو أن تستخف بي.

Twitter: @ketab_n

كي أمنح ذاتي بابا للخروج المناسب، وكي أتخلص من إيرين دون مشاكل، أعددت مخططي بكل إتقان. رتبت لأن أفاجئها مع عشيقها وألعب دور المهان كي أرغمها على الطلاق. توصلت إلى استنتاج أن مواعيدها معه كانت عند أوقات دراستي أو تنقلي لمتابعة مهام قضائية. كي أزيد المشهد حبكة وأكثر تهويلا حملت معي مسدسا به نويت أن أسدد بضع طلقات في الهواء، إلى العشيق أو إلى إيرين انتقاما لشرفي كزوج مخدوع.

ذات ثلاثاء، في آخر الزوال، اتصلت هاتفيا بإيرين كي أقول لها إنني لن أكون بالمنزل في تلك الليلة وإنه عندي الكثير من الشغل. قبلت اعتذاري دون أن تطلب أي شرح. بعد إنهاء المكالمة، ذهبت إلى قاعة سينما كي أنتظر اللحظة المناسبة لمباغتة العشيقين في وضعهما المخل.

كان الساعة تشير إلى الثامنة مساء تقريبا عندما خرجت من السينما. امتطيت سيارة تاكسي. كنت أسكن وإيرين بيتا صغيرا بطابقين يقع بضواحي المدينة، في إحدى مناطق الإقامة الجديدة التي شيدتها البلدية.

المنطقة المقفرة والموحشة بما يكفي تتكون من سلاسل شاسعة لبنايات غير مسكونة أو غير تامة الإنجاز. نزلت من التاكسي على بعد بضع مجمعات عن منزلي. شيء ما، في البداية، بدا لي أنه يشبه البرق أضاء الليل مما جعلني أفاجئ لأننا لم نكن في فصل زوابع. ما إن اقتربت حتى تأكدت أن غرفتنا كانت الوحيدة المضاءة في المنزل.

Twitter: @ketab_n

دون أن أحدث أي ضجيج، فتحت الباب ودخلت. صعدت الدرج. توقفت لبضع ثوان أمام باب الغرفة.

حقا، لم تكن إيرين بمفردها. التأوهات التي أسمعها لا تترك مجالا للشك بالنسبة للمشهد الذي سأحضره. حانت اللحظة الحاسمة. أمسكت بمقبض الباب وأدرته كي أفتحه.

لم أفكر في أن يكون الباب مرتجا من الداخل. من غير المجدي أن أتقوى وأنا ليس بيدي المفتاح. كما أنه لم يعد هناك ضرورة للمفتاح بما أنهما سمعاني.

توقفت تأوهات إيرين في الحين. يجب علي أن أرتجل كلاما ما كي أضطرها لفتح الباب بعجالة. إثر بضع لحظات، أحسست خلالها بحركة غير عادية فتح الباب.

ظاهريا، كان كل شيء منظما ما عدا إيرين التي كانت عارية تماما. كانت نصف غائبة ونصف منزعجة. تصرفها لا يكشف كثيرا عن ندم ما أو أي إحساس بالخجل. كانت تلهث كما أن جسدها كان يكشف إثارة قوية. لم أنبس ببنت شفة. الأمر بدا وكأنها هي التي تطالب بتوضيح.

عاينت الغرفة. لم ألحظ أحدا. النافذة المجهزة بحاجز أمان مشبك كانت موصدة بإحكام. الخزانة كانت هي الأخرى مغلقة وهي لا شك فارغة كما استطعت أن أتأكد فيما بعد. السرير كانت تعمه الفوضى. ولم يبق لي غير أن أفحص المشرب الصغير الموجود في الغرفة. فكرة دفعتني إلى الضحك بما أنها مفرطة في غرابتها.

Twitter: @ketab_n

كنت مبلبلا. كما أنني كنت متأكدا من أنه ثمة رجل آخر في الغرفة بيد أنني لا أرى أحدا. عن خبرة وعي، وجدتني متجها نحو الخزانة بينما كانت إيرين تجلس على حافة السرير. أعرف أنني كنت مثيرا للسخرية لكن لم يكن لدي منفذ آخر. هي اللحظة التي لا تطرح عليك خلالها غير سؤال واحد: «و الآن ماذا علي أن أفعل؟» لم أتوصل إلى طريقة أبدأ بها الحديث مع زوجتي. ضربها أو شتمها لم يكونا ليصلحا شيئا.

بينما كنت وبلا جدوى أبحث بين الملابس والأحذية، سمعت تمخطا. كانت تلك طريقة إيرين في بدء حديث ملبك. بحركة مسرحية، أغلقت الخزانة قائلا:

ـ إيرين، كلي آذان صاغية. أنا في الاستماع إليك.

ـ لا أعرف كيف ابدأ مارتن.

اندهشت لنبرة صوتها، الحنون والودود. هو لا يشبه صوت امرأة فاجأها زوجها بصدد الزنا. لم تكن تبدو لا منزعجة ولا خائفة أو شاعرة بالخزي. مرتبكة، نعم. أنا الآخر بدأت أشعر بالارتباك.

ـ أحبك، مارتن، لقد أحببتك دائما... صدقا، أسعد سنوات حياتي هي تلك التي قضيتها معك.

ليس لدي الآن أدنى شك بالنسبة لصدقها: إنها هي إيرين، المتشبثة بتلك العبارات في الروايات التلفزية، المتصنعة والمثيرة للسخرية والتي تشكل طريقتها الوحيدة للتعبير عن أي شعور أو انفعال.

Twitter: @ketab_n

ـ كل شيء ابتدأ بشكل غريب جدا مارتن، ذات ليلة وبعدما خرجت، فتحت النافذة. . . أحسست بحرارة ففتحت النافذة. بينما أنا افتحها بان لي ضوء باهر جدا. . . خفت وأردت إغلاق النافذة في الحال. كان فوقي من كل جانب مارتن، يغطيني من قمة رأسي حتى أخمص قدمي. . . و. . . كان ذلك يشبه ما أحسه وأنا معك. . . لكنه أقوى. . . أكثر حدة. . .

تغير تعبير إيرين، مرورا من المرأة البليدة التفكير والحزينة إلى المرأة البليدة والمهتاجة. احمرت وجنتاها وانتصبت حلمتاها. . . أي نوع من التجارب استطاع أن ينتابها بهذا الشكل إلى درجة أنه يكفي أن تذكره كي يترك فيها هذا الأثر؟ من الممكن أن إيرين قد فقدت عقلها. بالإضافة إلى ذلك، ثمة نقطة ضعف في حكايتها: عشيقها المفترض يكون حسب ما تحكيه قد دخل ما النافذة في حين أنها كانت محمية بحاجز مشبك منذ بنائها. أي من لاعبي السرك وحتى أمهرهم (هل هذا فعلا حال عشيق إيرين؟) مهما قدر على تقليص جسده بإمكانه على الانزلاق عبر القضبان.

كانت إيرين بصدد مواصلة حديثها عندما جلست حذوها. حاولت أن أسدل علي ملامح الزوج المغتم الذليل دون أن أوفق في ذلك.

ـ آه مارتن! كنت أنوي الحديث في ذاك الشأن. . . إلا أن الأمر كان غير قابل للتصديق إلى حد كبير. . . أنا. . . أنا مجنونة. . . أجل، مجنونة ومريضة بيد أنك لو تعرف فقط ما عرفته أنا. . . لم

Twitter: @ketab_n

تكن أبدا متفرغا. كنت دائما مشغولا، غائبا... هو كان يقول لي إن الأمر سيستمر كما في السابق... كنت أرغب في تركه يا مارتن أو على الأقل إخبارك بكل شيء... لكنني لم أقدر...

المسلسل التلفزيوني الذي اختلقته إيرين بدأ يشعرني بالضجر. طيب لنفترض أنها كانت غير راضية إطلاقا وذات ليلة، دخل رجل من النافذة إلى غرفتنا ومارس معها الجنس... قررت أن لا ألح كثيرا على التفاصيل. ثمة رجل آخر غيري في حياتها. هو ذاك ما كان يجب أن أعرفه كي أتخلص منها. كل شيء كان في مصلحتي. على الأقل ذاك ما كنت أتصوره. متظاهرا بالتضايق، سألتها:

ـ طيب إيرين. أظن أن لعشيقك اسما. أليس كذلك؟

ـ ماووك.

ـ ماذا؟

عند هذه النقطة من النقاش، ظننت أن عقل إيرين أصابه فعلا خلل ما. وعندها تذكرت أن التأوهات الوحيدة التي استمعت إليها من وراء الباب كانت صادرة عنها. لعل في الأمر فخ، لا، مزحة ما، تريد من خلالها إيرين أن تثبت لنفسها، أو لي، أنني ما زلت متمسكا بها وأنني كنت قادرا على الإحساس بالغيرة. من الأكيد أنه لم يكن ثمة رجل في الغرفة. ليكن، سنسمي هذا العشيق الوهمي ماووك. إيرين سوف لن تضحك علي. الآن أقدر أن أتكلم بوضوح وأن أقول لها الحقيقة: حقيقة أنني لم أعد أطيقها وأنني أريد التخلص منها.

Twitter: @ketab_n

لكن قبل ذلك، قررت أن أواصل قليلا السير معها في نفس المسلك كي أرى إلى أين تذهب باختلاقاتها الرعناء.

ـ ماووك؟ اسمه ماووك؟ يا للاسم الغريب! وأين هو هذا السيد ماووك؟

ـ في المشرب الصغير. لقد اختفى هناك عندما استمعنا إلى خطواتك عند الباب.

كلمات إيرين التي قالتها بنبرة حيادية، دون أي شيء قد يشير إلى تأثرها جعلتني حانقا وساخطا. في البدء، هي خدعتني بأن جعلتني أظن أنها تقيم علاقة مع رجل آخر. والآن هي تسخر مني وتؤكد بكل بلاهة أن عشيقها يتخفى في مشرب صغير. هل هي فعلا تراني قرويا جلفا أو معتوها؟ أكثر من أي وقت مضى وبطريقة أو بأخرى، عزمت على وضع حد لكل شيء يخص علاقتنا التي أصبحت بالإضافة إلى كونها روتينية مند مدة، ملوثة بالجنون أو الأدهى من ذلك تحولت إلى خدعة. هذا لا يمكن أبدا أن يستمر. الرجل يجب أن يتصرف كرجل عندما تكون زوجته مجنونة فعلا أو غريبة الأطوار.

كنت أستعد لصفعها عندما حدث شيء ما، كان من الصعب علي وصفه بكل دقة. شيء غير حياتي إلى الأبد، جعلني أتساءل إن كنت رشيدا أو مجنونا، إن كان يوجد في الكون قليل من العقل، قليل من الطيبة، شيء ما نستطيع أن نصفه بالنظام، بالعدالة، بالحقيقة. حاولت استعادة حياتي التي كانت عادية حتى تلك الليلة، لكن لا شيء يقدر على محو الذي حصل من ذاكرتي، لأنه بعد حديث إيرين

Twitter: @ketab_n

فتح الباب الصغير للمشرب فعلا. ولأنني رأيت مجسا يخرج من الفرجة زاحفا وفقا لخط متعرج، مجس رقيق ذو لون رمادي قاتم.

لا أتذكر كم كان يلزم من الوقت كي يظهر هذا الهول في جملته كما أنني نسيت إن كنت مغمى علي ثم استفقت. تذكرت فقط أنني كنت أرتعش وأنضح عرقا. كما أنني كابدت شعورا فظيعا بالعياء والوهن وتملكتني رغبة عارمة في طلب مساعدة أي كان يؤكد لي أن العالم كعادته ما زال يتحرك وأن الكون مثلما نعرفه ما زال كما هو لم يتغير، بعماله، برجال سياسته وبربات منازله... كنت أبحث عن أي أحد يقدر أن يقول لي إن ذاك الشيء ينتمي إلى عالمنا، أنه يسكن عشا حيوانيا معروفا، أنه سينتهي به المطاف في مربى مائي أو في صحن أو في حاوية نفايات... لكن شيئا من ذلك لم يحصل. في تلك الغرفة، التي هي غرفتي، زوجتي، أنا وشيء آخر لا يمكن أبدا أن تكون له علاقة بعالمنا، ثلاثتنا وجدنا أنفسنا وجها لوجه.

الكائن الذي برز من المشرب الصغير لا يختلف كثيرا عن أخطبوط عادي. كان ذا لون رمادي قاتم وثماني مجسات كما كان له ساق من المطاط أملس صقيل وبراق.

لكنه يختلف من حيث شكل الفنتوزات الموجودة على مجساته: كانت مشربة الحمرة وشديدة الشبه بشفاه بشرية. كانت تنفتح وتنغلق بشكل مطرد. هي لم تكن مستديرة لكنها كانت منحرفة قليلا مما يجعلها منفرة إلى حد لا يحتمل لأنها بقدر ما هي تحيل على الفم

Twitter: @ketab_n

فهي توحي إلى أعضاء تناسلية. بيد أنه لا شيء يمكن مقارنته بالعينين اللتين كانتا مماثلتين لعينين آدميتين أخضرهما مكثف.. خيوط نصف شفافة تلعب دور الرموش. غياب الفم وبعض أجزاء الوجه الأخرى يجعل من ذاك الوجه كاريكتورا مريعا لوجه آدمي.

متجمدا من الرعب، لم أعرف ماذا أقول ولا ماذا يجب علي أن أفعل. حينها بادرت إيرين بقطع حبل الصمت. بصوت رصين، لكن متقطع بسبب النشيج، حدثتني عن وحدتها، عن فقدان الأبعاد والرؤى التي من شأنها أن تضفي على حياتها رونقا مختلفا، عن انعدام حبي لها، عن ليلة وصول ماووك، عن الطريقة التي اتبعت بواسطتها نصائح قرأتها في مجلة «الحقبة الجديدة» حول الموقف الذي يجب تبنيه خلال لقاء قريب من الصنف الثالث. (في خضم كل الذي يحدث، لم يكن علي إلا أن أرتعب من معرفة قراءات إيرين).

حكت لي عن اتصالها الأول بماووك وبدأت في سرد تفاصيل ذاك اللقاء عندما قفز علي ذلك المخلوق الذي لم أقدر على مناداته باسمه. كل جهودي للتخلص منه باءت بالفشل: كان الجزء الوسطي من ذاك الجسد الهلامي والصلب في ذات الآن يغطي وجهي تماما وكانت مجساته تتمدد حتى نهايات أطرافي. بشكل أو بآخر، نجحت تلك المجسات في ولوج ملابسي إلى حد أنني أحسست لمس الفنتوزات المبتلة لجلدي. تملكني الغثيان عندما وصلت إلى أعضائي الحميمة.

Twitter: @ketab_n

ثم داهمتني النشوة.

لا شيء، إطلاقا، لا شيء في هذا العالم يمكن أن يقارن الإحساس النقي والشديد للذة التي جربتها خلال هذا الاتصال بماووك. كان بمثابة عبور فائق السرعة لنفق من النور، من النار، من الدم، من الظلمة الدامسة. . . . وفي خضم كل هذه اللذة المرعبة المشغوفة يتحقق الإدراك، والمعاشرة الكاملة لهذا الكيان الذي لم يكن أبدا من عالمنا. عرفت من يكون ماووك، تعطشه للذة، ترحاله الدائم عبر الكون بحثا عن أحاسيس متجددة. . . فهمت أنه إذا كان هذا المخلوق من مخلفات نوع من المخلوقات تمتلك تكنولوجيا أكثر تطورا من كل ما توصل إلى التعرف عليه الإنسان، إذن فهو متفسخ، منحط، أناني ودون غائية. بيد أن اتصاله سيبقى إغواء مستمرا.

عندما تركني ماووك، كنت أعرف ما يجب علي فعله.

انتصبت وتظاهرت بالتردد. كانت إيرين الجالسة على السرير تنظر إلي وهي مدركة منذ ذلك الحين أنني مثلها تماما تغيرت. لم يعد ثمة من سبيل لأن تسير الأمور كما من قبل. خاصة وأنه لا أحد يجب أن يعرف اتصالاتنا بماووك.

تذكرت أنني كنت احمل مسدسا. يكفي أن أطلق عليه النار كي أرجع كل الأمور إلى نصابها. بعد أن سويت ملابسي، أخرجت سلاحي. دون أن أنظر في وجه إيرين، أطلقت النار فتهاوى جسدها على السرير وقد اخترقت جبهتها الرصاصة.

Twitter: @ketab_n

أنا متأكد من أنها لم تتألم. كما قلت، الأمر لم يعد بالإمكان أن يستمر أكثر خاصة بعد أن عرفت ما لم تعرفه إيرين.

ماووك كان أنثى من أبناء جنسها.

ترجم القصة عن الإسبانية الأرجنتينية:

بيار جان بروبو

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

تفسخ

خوسيه فيسنتي أورتونو/ José Vicente Ortuno:ولد بالقرب من فالنسييا بإسبانيا سنة ١٩٥٨. كان مولعا بأدب الخيال العلمي منذ طفولته. له نشاطات أدبية وثقافية متعددة.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

رن الجرس. كان ألبرتو الذي بدا الاستياء على وجهه يمسك بجهاز التحكم في التلفزيون عن بعد عندما نهض من فوق أريكته كي يفتح الباب. غمغم بسلسلة من الشتائم التي استقاها من مرجعيته الآرامية الواسعة ثم دمدم وهو مترع غيظا: «هذا الطارق، كائن من كان، سوف ألقنه درسا قاسيا! كيف يقطع علي فرجتي في منتصف المباراة بين برشلونة وريال مدريد؟». ما إن اقترب من الباب حتى غمرت أنفه رائحة مقززة التوت أمعاؤه عند نفوذها إلى أحشائه فبعثت فيه إحساسا بالغثيان ورغبة ملحة في التقيؤ. تنفس بعمق في محاولة منه لاستعادة توازنه لكن انتشار الرائحة الكريهة حال دون ذلك. فتح الباب وصارت عندها النتانة لا تطاق. على عتبة المنزل، وقف رجل يرتدي كسوة رمادية داكنة ويضع ربطة عنق ذات ألوان صارخة جعلته يبدو وكأنه بائع للموسوعات... المحفظة التي يمسك بها بيده كانت تؤكد هذه الفرضية.

ـ ماذا تريد؟ سأل ألبرتو الذي ما زال يمسك نفسه عن التقيؤ.

ـ أهاه! تلعثم الزائر. وعندما فتح فاه انفصل لسانه وسقط على الأرض مصدرا صوتا يشبه الهدير. تنقلت نظرات ألبرتو المذهولة بين

Twitter: @ketab_n

الرجل ذي البذلة الرمادية بفمه الفاغر وقطعة اللحم الدامية الملتوية والزاحفة بتشنج على البلاط.

اختنقت صرخة الرعب في حلق ألبرتو عندما اندلقت المعكرونة التي كان قد تناولها بشراهة عند الظهر بعنف في القيء المتعدد الألوان. أراد ألبرتو أن يصفق الباب وهو ينظف بكم قميصه بقايا طعام الغذاء الذي لم يهضم بعد بيد أن الرجل ذي البذلة الرمادية منعه من ذلك. مد الزائر المزعج فعلا ذراعه في محاولة لترك الباب مشرعا لكن يده انكسرت على مستوى الرسغ وسقطت على الأرض كي تنضم إلى اللسان الذي ما زال يواصل النط والتلوي بكل غباء وسط القيء. جعلت قطعتا اللحم تزحفان داخل المنزل. لم يقدر ألبرتو على مقاومة الرعب الذي تملكه جراء ما هو بصدد رؤيته. فقد في نفس الوقت وعيه والسيطرة على أمعائه، الأمر الذي لم يساعده البتة على تغيير نوعية الهواء الذي اجتاح المكان.

بعد فترة من الزمن، عندما استرد بعضا من وعيه، وجد نفسه مقرفصا إلى جانب الباب، لكنه لم يعد إطلاقا يشتم تلك الرائحة العفنة والنتنة التي كانت قبل وقت قصير تخضل الغلاف الجوي. رأى الرجل ذا البذلة الرمادية ممددا على العتبة وهو بصدد الانقسام إلى قطع جيلاتينية/ هلامية تحاول التخلص من الملابس كي تزحف في اتجاهات متعاكسة. خمن ألبرتو أنه ينبغي عليه القيام بشيء ما كأن يطلب سيارة إسعاف مثلا. وهو في طريقه إلى الهاتف، وقبل أن يصل إلى غرفة الجلوس، فصلت إحدى ساقيه فهوى على الأرض.

Twitter: @ketab_n

لحسن الحظ أنه صار بالقرب من الطاولة الصغيرة التي وضع عليها الجهاز.

من وضعه وهو شبه مستلق على الأرض، مد يده كي يلقف الهاتف بيد أنه عندما أراد أن يمسك به تفككت أصابعه. الهاتف صار بعيدا عن متناوله والأصابع أضحت بدورها تتلوى على أرضية غرفة الجلوس كما لو أنها ديدان ضخمة. ولاكتمال تعاسة حظه، تحطم ذراعه الذي كان يرتكز عليه على مستوى الكوع محدثا صوتا شبيها بذاك الناجم عن تكسر أغصان الكرفس مما جعله يسقط منقلبا على ظهره. ارتطم رأسه بالأرضية فأحدث دويا كما لو كان لبطيخة حان قطافها وانفتح مثل بيضة فانسكبت مادة دماغية، مخاطية متعفنة ولزجة خافقة. اندلقت العينان المشدودتان إلى أعصابهما البصرية من محجريهما نتيجة لذلك الاصطدام، وجعلتا تنطان على البلاط. كانتا هما أيضا تزحفان وترتدان مثل حيوانين منويين متضخمي الرأسين في اتجاهات متعاكسة. إحداهما كانت تسعى للانضمام إلى يد ولسان الرجل ذي البذلة الرمادية، القادمان زحفا لا يني على السجادة حيث ربحت اليد عندما سبقت اللسان قيد أنملة. أما العين الأخرى فقد ذهبت لتجتمع بأنف وأصابع ألبرتو التي كانت تهتز حول جهاز الهاتف فيما كانت ساقه تحاول بكل رعونة وبواسطة تشنجاتها الهستيرية الخروج من أغلال السروال.

في ذلك الحين، خرجت الجارة القاطنة في المسكن المقابل. شاهدت بقايا بائع الموسوعات المتناثرة فأطلقت صرخة مرعبة. سقط لسانها على الأرض وخرجت عيناها من محجريهما...

Twitter: @ketab_n

بعد أيام قلائل، سجل الكائنان الفضائيان القادمان من كوكب راتيكولين لاستكشاف المكان واللذان كانا يراقبان المشهد بحيرة أنه لم يبق من الإنسانية غير أعضاء غروية زاحفة تتقافز وتتلوى في كل الاتجاهات.

ـ لكن ما الذي حدث هنا؟ سأل فليب المنذهل بفضول.

ـ لا شك أنه الفساد. أجاب فلوب المندهش هو الآخر وقد اهتز حاجبه الوحيد.

ـ أواو! كنا نعرف أن الفساد موجود بكثرة على هذا الكوكب لكن أن يكون مستشريا إلى هذه الدرجة! صاح فليب متعجبا وهو يلوح بهوائييه المتموجين معبرا بطريقة الراتيكوليين عن استنكاره وحيرته.

ـ هنا، ليس ثمة من شيء يدعو إلى البهجة يمكن إنجازه. قال فلوب وهو يحلق في طبقه الطائر ثم أردف:

ـ هيا نغز أماكن أخرى!

ترجم القصة عن الإسبانية الأرجنتينية:

بيار جان بروبو

Twitter: @ketab_n

الأصل والتابع

فرناندو سورنتينو/ Fernando Sorrentino: من أهم الكتاب الأرجنتينيين. ولد ببيونس آيرس في ٨ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٤٢. ترجمت أعماله إلى لغات عالمية متعددة منها الإنجليزية والبرتغالية والايطالية والألمانية والفرنسية والصينية والفيتنامية. مؤلفاته تتميز بمزيجها المتناسق من الخيال والفكاهة والسخرية السوداء. كتب أيضا العديد من المؤلفات للأطفال والشبان.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

في الخامس والعشرين من تموز / يوليو، عندما حاولت رقن الحرف أ / A، لاحظت وجود بثرة صغيرة على خنصر يدي اليسرى. وفي السابع والعشرين من نفس الشهر بدا لي بشكل واضح أن البثرة أضحت أكبر بكثير. في الثالث من آب / أغسطس، توصلت إلى تبين جنسها بواسطة عدسة مكبرة. كان لها شكل فيل صغير جدا: الفيل الأصغر في العالم، أجل، ولكنه فيل كامل في أصغر تفاصيله. كان لاصقا بإصبعي بواسطة طرف ذيله الصغير. وهكذا، كان سجين خنصري، لكنه مع ذلك يتمتع بحرية الحركة، سوى أن تحركاته ظلت تخضع كليا لإرادتي.

بفخر مشوب بالخشية والشكوك الكثيرة، صرت أعرضه على أصدقائي الذين كانوا يبدون اشمئزازهم منه. قالوا لي إن وجود الفيل على خنصري لا يمكن إطلاقا أن يكون جيدا للصحة ونصحوني بأن أذهب لاستشارة طبيب مختص في الأمراض الجلدية. لم أهتم أبدا بأقوالهم ولم أذهب لرؤية أي كان. فصمت علاقاتي بهم وكرست كل طاقتي لدراسة التطور الطارئ على الفيل وحسب.

Twitter: @ketab_n

مع اقتراب نهاية آب/ أغسطس، كان فعلا فيلا جميلا، له طول خنصري، وإن صار أكبر حجما مما كان عليه بكثير. كنت ألعب وأتسلى معه كامل النهار. وكان يروق لي كثيرا في بعض الأحيان المزاح معه ودغدغته وتعليمه القفز وكيفية الوثب على حواجز صغيرة: علبة ثقاب مثلا أو مبراة أو ممحاة.

في تلك الفترة، بدا لي أنه صار من الملائم أن أمنحه اسما. خطر على بالي العديد من أسماء غبية هي في الظاهر جديرة بفيل عادة: دومبو، جامبو، يومبو... وفي نهاية المطاف، وبعد زهدي في كل الاختيارات، فضلت أن أطلق عليه اسم «فيل» كما هو.

كنت مبتهجا بتغذية «فيل». أضع على الطاولة فتات الخبز وأوراق الخس ونتفا صغيرة من العشب. هناك على مسافة قصيرة من الحافة، أضع قطعة صغيرة من الشكلاطة فيجاهد حينها «فيل» كي يبلغها. إنما، إن بقيت يدي ثابتة فإنه لا يمكن له أبدا الوصول إلى هناك. لذا أؤكد أن «فيلا» لا يعدو أن يكون جزءا ضعيفا من شخصي.

وبعد وقت قصير، لنقل، عندما صار فيل بحجم فأر، لم يعد من السهل السيطرة عليه. كان خنصري رقيقا بشكل يجعله عاجزا عن مقاومة وثباته المندفعة.

كنت حينها لا أزال محافظا على اعتقادي الخاطئ بأن هذه الأشياء تحدث فقط بسبب نمو «فيل». لكنني اضطررت إلى تغيير رأيي عندما أضحى فيل ذات يوم أضخم من خروف: يومها كان فعلا أضخم من خروف.

Twitter: @ketab_n

في تلك الليلة ـ وفي بعض الليالي الأخرى ـ كنت أنام ممددا على بطني ويدي اليسرى متدلية إلى جانب السرير: على الأرض، غير بعيد عني، كان فيل ينام. فيما بعد، صار علي أن أنام ـ متمددا على بطني ـ رأسي على ردفه، وساقاي على ظهره. ثم صار جزء فقط من فخده كافيا كي أتمدد عليه وبعدها صرت أنام على ذيله ثم على الطرف الصغير لذاك الذيل حيث أبدو مثل ثؤلول صغير لا يمكن تماما إدراك تفاصيله.

صرت أخشى من الاضمحلال. ملأني الرعب من أن أصير غريبا عني فأغدو مجرد مليمتر من ذيل فيل. بعد ذلك خمد خوفي وعادت إلي شهيتي. تعلمت كيف أتغذى على فتات الخبز وحبوب الذرة البيضاء وقش العلف والحشرات التي تكاد تكون مجهرية.

كان هذا بطبيعة الحال في السابق. أنا، الآن، أحتل من جديد مكانا لائقا أكثر على ذيل «فيل» صحيح أنني ما زلت لا أحس بالاطمئنان، لكنني أستطيع أن أستحوذ على قطع بسكويت كاملة والتمعن ـ وأنا غير مرئي ومنيع ـ في زوار حديقة الحيوانات.

أنا متفائل جدا بما أنني بلغت هذه الدرجة من التطور. أعلم أن «فيل» شرع في الانكماش والتقلص. وهذا هو السبب الذي جعلني أمتلئ بشعور مبكر بالتفوق ألهمني إياه المتجولون الذين كانوا يرمون

Twitter: @ketab_n

لنا بالحلوى بلامبالاة وهم لا يرون غير «فيل» الماثل أمامهم ملء وضوحه والذي لم يرتابوا لحظة في أنه لا يعدو أن يكون السمة المستقبلية لذات جوهرية كامنة ما زالت بالمرصاد رغم تخفيها عن الأعين.

ترجمها من الإسبانية الأرجنتينية إلى الفرنسية:

ميشال كازانا/ Michel Casana

Twitter: @ketab_n

ثقيل الظل

الثامن من تشرين الثاني / نوفمبر كان يوم عيد ميلادي. خمنت حينها أن الطريقة المثلى للاحتفال به ستكون بالدردشة مع شخص غريب.

الساعة كانت حوالي العاشرة.

في زاوية طريق فلوريدا وشارع قرطبة، وجدتني أسير بمحاذاة رجل في الستين من عمره، يرتدي ملابس أنيقة ويحمل حافظة وثائق بيده اليمنى. كان مظهره المتعجرف يوحي بأنه محام أو كاتب عدل.

ـ عفوا يا سيدي، قلت له، هل يمكنك أن تدلني على طريق ساحة مايو؟

توقف الرجل، عايننى من قمة رأسي حتى أسفل قدمي ثم أجابني بسؤال غير ذي مغزى:

ـ أنت تريد الذهاب إلى ساحة أو شارع مايو؟

ـ أنا في الأصل أرغب في الذهاب إلى ساحة مايو لكن، إن كان ذلك غير ممكن فإنني سأقصد أي مكان آخر؟

ـ جيد. قال لي متعجلا الكلام وكأنه نادم على إيلائي بعضا من

Twitter: @ketab_n

اهتمامه. اتبع هذا الاتجاه، وأشار إلى الجنوب. سوف تمر من طرق فيامونت وتوكومان ولافال و. . . .

عندما شعرت بأنه كان يجد متعة خبيثة في سرد أسماء الشوارع الثمانية التي يتوجب علي عبورها، قررت أن أقطع عليه ذلك الحبور.

ـ هل أنت متأكد مما تقدمه لي من معلومات؟

ـ أجل، أنا واثق تمام الثقة.

ـ عفوا، أنا أشك فيما تقوله. ثم أردفت موضحا: قبل بضع دقائق، قال لي رجل ينم كل ما فيه عن الذكاء إن ساحة مايو توجد هناك. . . وأشرت ملتفتا صوب ساحة سان مارتن.

اكتفى الرجل بالرد:

ـ من المؤكد أن هذا السيد الذي تتحدث عنه لا يعرف المدينة.

ـ مع ذلك، وكما قلت، فإن هذا الرجل يرشح ذكاء. إذن، من المنطقي أن أعتمد عليه لا عليك أنت.

سألني وهو يقيسني بنظرة صارمة:

ـ في النهاية، هل لك أن تفسر لي لماذا تود الاعتماد عليه دوني؟

ـ لكني لم أقصد ما فهمته بالضبط. لست أرغب في الاعتماد عليه أكثر منك. . . لكن كما قلت لك، كل نأمة في ذاك الرجل تتنفس ذكاء.

ـ هذا هو الأفضل! وأنا؟ ربما أبدو معتوها أحمق؟

Twitter: @ketab_n

ـ لا . . . لا . . . قلت ثائرا . . . من قال هذا؟

ـ أنت الذي قلت إن الرجل الآخر خارق الذكاء.

ـ لأنه بصراحة يبدو عبقريا فعلا.

قال محدثي وقد ظهرت عليه علامات نفاد الصبر:

ـ حسنا، يا سيدي، أنا على عجلة من أمري، لذلك لا بد أن أقول لك وداعا وأغادر.

ـ حسنا، لكن ماذا ينبغي علي أن أفعل كي أصل إلى ساحة سان مارتن؟

ارتسمت على وجهه علامات الغيظ:

ـ لكن ألم تقل لي قبل قليل إنك تريد الذهاب إلى ساحة مايو؟

ـ لا ليس إلى ساحة مايو، لا. إنني لا أبغي الذهاب إلى غير ساحة مارتن. لا أحد تكلم عن ساحة مايو.

ـ في هذه الحالة، قال وهو يشير إلى الشمال، تتبع طريق فلوريدا، سوف تمر من طريق باراغواي. . .

ـ ثمة ما يدعو إلى الجنون في الحديث معك! قلت محتجا. ألم تشر قبل قليل إلى الجهة المقابلة عندما أردت أن تدلني على الطريق؟

ـ ذاك لأنك قلت لي إنك تبغي الذهاب إلى ساحة مايو!

ـ أنا لم أتكلم أبدا عن ساحة مايو! كيف يمكنني شرح ذلك؟ ألا تفهم لغة هذه البلاد التي تسير فيها وأنت لا تزال نصف نائم؟

Twitter: @ketab_n

احمر وجه الرجل. رأيت يده المتشنجة تضغط على يد حافظة الوثائق. توجه إلي بعبارة من الأفضل عدم ذكرها وذهب بخطواته الواسعة الحثيثة والحانقة.

ترجمة: جينيفياف بودري/ Geneviève Baudry

Twitter: @ketab_n

الشاهـد

كلاوديو بيوندينو/ Claudio Biondino: أنتروبولوجي ولد في بيونس أيرس بالأرجنتين سنة ١٩٧٢.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

كان إيمانويل آخر الكائنات الحية على وجه الأرض، أو لنقل إنه كان يعتقد ذلك. هو لم ير منذ قرن تقريبا كائنا من صنف البشر أو غيره. قبل وقت قصير من الانهيار، بحث له عن ملجأ في أنقاض مدينة قديمة تحت آثار مركز تجاري ظل قائما رغم الحرائق والنهب والتخريب. كان يقضي ساعات السبات/ الخمود محاطا بأجهزة الكمبيوتر والتلفزيون التي لم يعد يستعملها أحد كما في السابق. في الليل، يخرج ليتجول بين المباني المدمرة متأملا فيما آلت إليه تلك المناطق الحضرية المقفرة حد الوحشة. كان يعرف جيدا أن مصيره كان محتوما. نقص الغذاء كان سيفنيه إلى أن يحيله إلى رماد في عملية طويلة الأمد مؤلمة للكائنات من بني جنسه.

بيد أن إيمانويل لم يكن متوترا وهو ينتظر الخاتمة. كما أنه لم يقض أيامه في الإحساس بالرعب من أهوال العدم. كان في السابق يتنقل بجسده المظلم الضامر والمحدودب قليلا نابشا، على مدى أعوام عديدة، بين رفوف المكتبات الإنسانية والأرشيفات السرية للماضي البعيد. ما كان يدفعه لذلك بشغف هو الحاجة إلى معرفة جذور الأسلاف. كان يأمل في الحصول على هذه المعرفة كما لو أنه

Twitter: @ketab_n

يرغب في إيجاد طعم الدم. صار الآن لا يحرص على المعرفة أو الحياة. الجوع يعذب جسده وروحه منذ زمن طويل وهو لم يعد تقريبا يحس بشيء... لا شيء كان يستحوذ عليه في ذلك المكان سوى الشعور بالاستكانة والضعف.

في إحدى الليالي الصافية، قاده تسكعه إلى خارج المدينة. بينما كان يترك وراءه ذلك التابوت المصنوع من الصلب والزجاج والإسمنت، أحس بالارتياح إلى أن النهاية أضحت قريبة وأنه أخيرا سيتخلص من عذابه. كان مبتهجا برؤية القمر الشاسع بين النجوم. ها قد استعادت السماء الليلية بهاءها الذي كان قبل زمن ذاك الخراب العظيم. تقدم إيمانويل وهو يتعثر متأرجحا بين كثبان الصحراء الرملية الممتدة في كل الجهات دون أن يعرف لذلك المحيط الرملي حدودا ـ ذاك إن كان له حدود فعلاً ـ. لعل ما بقي من العالم لا يعدو أن يكون ذكرى مدفونة تحت أمواجه العارمة. كان مستغرقا في تلك الأفكار عندما بهره بغتة وميض متوهج. أمامه، وعلى بعد بضعة أمتار، تبين حضور كائن ما. هيأة متلألئة تراقبه من فوق الكثبان القريبة. كان لذاك الكائن مواصفات البشر، قامته كانت طويلة، وكان رأسه كبيرا أصلع. كما أنه كان يرتدي سترة بيضاء قصيرة لا تغطي ساقيه العاريتين المرفرفتين في الفضاء على بعد بضعة سنتيمترات فوق سطح الأرض.

ـ اقترب! قال الكائن الغريب.

أصدر الأمر بلهجة مشوبة بازدراء جلي. كان كمن يتوجه بالكلام

Twitter: @ketab_n

لكائن ناقص وأدنى اعتبارا منه. لكن إيمانويل لم يشعر بالإهانة. تقدم وعيناه منذهلتان إلى أن وصل إلى الهيأة البراقة.

ـ من أنت؟ سأل الكائن الباهر الضوء بنبرة متعجرفة.

ـ أنا أدعى إيمانويل. إنني آخر الناجين في هذا العالم المقفر الخراب أو على الأقل أنا أظن ذلك حتى الآن. وأنت من تكون؟

لم يكن صوته ينم عن خشية أو إجلال مما أثار حفيظة الغريب.

ـ اكتف بالإجابة عن أسئلتي يا هذا! لقد جئت لتقييم بني البشر وتهيئتهم للعبور الكبير، لكنني ألفيتهم منقرضين من على البسيطة. لعلك تقدر على إخباري بما حدث هنا وتعرفني بمن تكون أنت...

بدأ إيمانويل في استيعاب الموقف فارتسمت علي وجهه ابتسامة ساخرة.

ـ أوه! فهمت. أنت واحد منهم، أليس كذلك؟

ـ أنا جبرائيل، واحد من أولئك الذين كان الأولون ـ لقلة إدراكهم ـ يسمونهم ملائكة. شرح الجسد الطيفي ثم أردف: لكنك لم تجب على أسئلتي، من أنت وماذا حدث هنا؟

ابتسم إيمانويل من جديد. هو يعرف جيدا من هم الذين كان القدماء الأولون يعتبرونهم ملائكة.

ـ حسنا، سأشرح لك. وجلس متربعا على الرمل. أنا مصاص دماء. لقد عشت قرونا عديدة على شرب دماء الآدميين لكن كل هؤلاء ماتوا. أنا الآن أحترق على نار هادئة نفاذ موارد تغذيتي.

Twitter: @ketab_n

ـ كفى! ياللقرف! هل يمكنك أن تصمت؟

قطع جبرائيل الاستجواب لحظات قليلة وهو يمعن النظر في إيمانويل ويتفحصه ثم واصل:

ـ حسب ما أدرك، أنت لست كائنا طبيعيا. أنت لا تعدو أن تكون حلما، تجربة بغير سبق إصرار. إنما ماذا يفعل وحش وهمي مثلك في هذا الواقع الآني؟

ـ الرجال هم الذين أنجبونا. قال إيمانويل دون أن يكف عن الابتسام.

صار فضول جبرائيل أقوى من السخط:

ـ كيف يمكن ذلك؟

ـ إن أنت فسحت لي المجال كي أتحدث، يمكنني أن أروي لك القصة.

ارتفعت درجة التوتر في الفضاء ولبضع لحظات، اعتقد إيمانويل أنه سيتم تصفيته دون أي شكل من المحاكمة. بيد أنه لم يكن فزعا. على أي حال، هو لم يتبق له الكثير من الوقت ويمكنه على الأقل أن يرفه عن نفسه قليلا قبل لحظة الختام.

ـ تكلم، قال له جبرائيل بعد دقيقة تقريبا، يبدو أنه لديك شيئا مهما تريد أن تقوله.

رمقه إيمانويل كمن يرثي لحاله لأنه يعرف مصير هذا المخلوق الذي خدعته غطرسته الساذجة.

Twitter: @ketab_n

ـ حسنا، دعنا نر إذن، قال بنبرة معلم زادت في إثارة حفيظة المستجوب أكثر قليلا. لم أنفك منذ أمد بعيد عن الغوص في الأبحاث والدراسات التي أجراها علماء من بني جنسنا، وأستطيع أن أثبت أننا نتجنا عن العقل البشري وأن هذا الأخير كان قد حلم بوجودنا طيلة قرون عديدة إلى أن توج ذاك الحلم بظهورنا عن طريق إحدى ألعاب الخفة ذات الأبعاد المختلفة والمفتقدة للوعي. لا أعرف بالضبط كيف تمت هذه العملية بيد أنني متأكد من أننا نشأنا عن طريق تلك الصدفة. هكذا بدأنا. كنا سفاحي الإنسانية بيد أننا كنا كذلك تتويجا لجوهرها. كنا ذروة المنحنى.

ـ أعرف جيدا جدا مصدركم، أنت ومن كان معك، ذاك أنه لا يمكنكم المجيء من مكان آخر. قال جبرائيل وقد علت وجهه حمرة السخط، ما أريد معرفته هو كيف وصلتم إلى هذا الحال ولماذا تقول إنكم تمثلون تتويجا للجنس البشري.

ـ لا أعرف كيف تم التحول، أوضح إيمانويل، بيد أنني واثق من أن الآدميين هم الذين تسببوا فيه وأنني وأمثالي كنا نمثل اكتمالهم لأنه حتى وإن لم نكن بشرا فإننا نتاج تجاوزهم الحالك ورغباتهم الأكثر ظلاما.

ـ أنت لست غير كابوس وقح!

من جديد، صار المستجوب عاجزا عن السيطرة على غضبه فصاح في وجه إيمانويل:

ـ جوهر الإنسانية هو ما تراه أمامك الآن. كان ينبغي على بني

Twitter: @ketab_n

الإنسان أن يتطوروا إلى أن يتوصلوا لدمج طاقاتهم الفردية بطريقة تجعلهم يشكلون عقلا فريدا ومتفوقا، تماما مثل النموذج الذي أمثله أنا، التطور الأكثر حكمة لكل الأنواع القديمة!

ـ بالطبع. قال إيمانويل مصاص الدماء بنبرة ساخرة مشحونة بمزيد من الاستفزاز. أعرف أن اسمك الحقيقي هو «فيلق/ حشد». وأعرف أيضا أنك، عما قريب، ستندمج بأرواح أخرى كي تشكل كائنا فريدا سيتخلى في وقت لاحق عن هذا الكون مثل فرخ ينقر قشرة بيضته كي يلج العالم الحقيقي، كائنا قدره الخلود وتأمل المخلوقات التي سترى النور وفقا لإرادته: ستصير مثل ذلك الإله الذي خلق هذه البيضة التي نسميها الأرض والتي انسحب منها بعد ذلك ليمارس دوره كبصاص متلصص يملؤه الفتور والتعالي. بيد أنك لن تكون هنا للمشاركة في هذا الحدث الكبير لأن روحك حينها ستكون قد تلاشت لدى ذوبانها في الآخرين. هذا المنظور، ألا ينكد عليك قليلا؟

صارت لهجة إيمانويل متهكمة أكثر فأكثر. شعر جبرائيل بأن سلطته بصدد التقوض أمام ناظريه. كان يستطيع أن يصعق محدثه بنظرة بسيطة بيد أن شيئا ما ردعه عن ذلك. تسرب إليه الشك الذي استغله المخلوق الخيالي الصغير.

ـ أن أكون جزءا من الروح الجمعية، فإن ذلك يشكل شرفا لي. قال المستجوب الذي كان يريد إعطاء الانطباع بأنه واثق من نفسه. أما أنت فلن تنتمي أبدا لتلك الروح. أنت، بالنسبة للجنس البشري، لا

Twitter: @ketab_n

تعدو أن تكون محاولة لخلق عابر فاقد للوعي، محاولة فاشلة ليرقة إلهية هي، لسبب أو لآخر، فرت من البعد الاستيهامي التجريبي الذي ما كان ينبغي عليها أبدا الخروج منه. أنت ليس لك مستقبل. أنت لن تندمج بكل سام وفوقاني. هذه الرؤية ألا تضايقك أنت أيضا؟

ـ لا، أبدا، رد إيمانويل بكل هدوء. هذا لا يزعجني البتة. إذا كان يجب أن تتوقف روحي عن الخفقان فإنني أفضل أن تتوارى بكرامة ونبل بدلا من أن تنقع داخل خالق للكون مصاب بداء التوحد والانطواء. بيد أنك لا تعرف كنه العزة والكرامة اللتين حتى وإن كان بنو البشر لم يدركوا حقا معناهما كما ينبغي، فهم قد ناضلوا كي يحققوهما.

أحس جبرائيل أنه انحدر في نهاية المطاف إلى مناقشة على قدم المساواة مع مخلوق هو ليس فقط أدنى قيمة منه بل الأدهى أنه غير حقيقي. أراد أن يسحق إيمانويل بكل ما أوتي من قوة لكن رغبته في الذهاب إلى أعماق هذه القضية انتصرت عليه. هو لم يتوصل بعد إلى معرفة ما حدث بالضبط للبشرية لذلك آثر أن يتمسك بجلده حتى آخر لحظة. توقف قليلا للسيطرة على حنقه ثم واصل الاستجواب متجاهلا ما لحقه من شتائم. سوف يحين الوقت المناسب لتصفية حساباته مع مصاص الدماء.

ـ ماذا كنت تقصد بادعائك أن بني البشر ناضلوا من أجل شرفهم وكرامتهم؟

ـ عندما سعوا إلى تدميرهم الذاتي. وعلت وجه إيمانويل ابتسامة

Twitter: @ketab_n

رضى. كان يعرف أنه بوصوله إلى هذه النقطة قد حقق الانتصار في هذه المناظرة الجدلية. نحن لم نكن نرغب في إبادتهم. كنا نلتزم بدورنا ككائنات طفيلية كي لا ينضب غذاؤنا (كنا دائما محافظين على البيئة). ولكن البشرية أبادت نفسها بنفسها عندما غيرت جذريا مناخ كوكب الأرض. الناجون القليلون لجؤوا إلى كهوف اصطناعية عميقة جدا. وفي هذه الكهوف، وكي نبقى على قيد الحياة، لاحقناهم إلى أن أبدناهم. نفق أصدقائي مصاصو الدماء الواحد تلو الآخر وأعتقد أنني آخر ممثل لأبناء فصيلتي.

ـ لا أدري بالضبط ما الذي تريد الوصول إليه. خفض جبرائيل من نبرة صوته لكنه بدا أكثر خطرا وتهديدا من أي وقت مضى. من الأفضل أن لا تتلكأ في إجابتك. ما هي علاقة التدمير الذاتي بالكرامة. التدمير الذاتي هو أسوأ عمل جبان يمكن ارتكابه.

ـ لا، ليس عندما يكون المدمر لنفسه محكوما عليه مسبقا، قال إيمانويل بإصرار وبنبرة تشوبها السخرية. في تلك الحالة، تقتضي الكرامة اختيار التدمير الذاتي عوضا عن الجلوس في انتظار الفناء. حتى وإن كان بنو البشر على غير وعي بما يفعلونه، فإنهم مسكوا ببداهة تلك اللحظة. هم يسمونها «يوم الحساب الأخير/ يوم القيامة» وهم لا يفهمون طبيعتها الحقيقية، لكنهم يرفضون الاعتراف بأن يلتهم كائن أعلى شأنا منهم ضمائرهم الفردية. ونحن الآخرون، الذين كنا تجربة خلقهم الإلهي، الكائنات التي أثثت أحلامهم على مدى قرون عديدة، لم نكن لنقبل التخلص منا عندما تحين تلك اللحظة. يكفي

Twitter: @ketab_n

حينها تحقيق لاوعي الإنسان لإطلاق قواه المدمرة للذات. نحن نحرره (ونحرر أنفسنا) عن طريق إبادته وحسب.

ـ الإنسانية تستحق ما آل إليه مصيرها في هذه الحالة. قال جبرائيل. السلالة القديمة التي انحدرت منها أدركت لحكمتها الفائقة مدى شرف الاندراج ضمن ترتيب أعلى للوجود.

ـ هذه لا يمكن أن تكون غير سلالة جبناء. أجاب إيمانويل بقهقهة رنانة. وكنت أنت أيضا بتلك الصفات. هل لك أن تخبرني أي ترتيب ستحتل في الإله القادم! هل سيكون لك مكان مبجل في عينه أو في نفس صوته الإلهي؟ أو لعله سيهبك مكانا عند أحد مريديه.

جرحت ضحكة إيمانويل المتهكمة جبرائيل بقسوة حتى أنه فشل في الرد على مثل ذاك الهجوم الذي أفقده ثقته بنفسه.

ـ من المؤكد أن الإنسانية كانت على عيوب كثيرة. أردف مصاص الدماء الذي صار جادا إلى حد الموت في ذلك الحين، دون أدنى قدر من السخرية. بيد أنها، على الأقل، لم ترضخ للنظام الطبقي الإلهي. ولا فعلنا ذلك، نحن أبناؤها، أيضا.

بلغت درجة كراهية جبرائيل حدا لم يكن هو نفسه يتصوره ممكنا. قتل هذا الوحش البغيض، مهما كانت بشاعة طريقته، لن يشفي غيظه. يجب معاقبة إيمانويل بتركه رهين المصير نفسه الذي يريد الهروب منه. اقترب من مصاص الدماء كي يستوعب طاقته ويدرجها ضمن جوهره الخاص. مد يده وتلمسه، ولكن الشعور

Twitter: @ketab_n

الذي انتابه لم يكن ذاك الذي توقعه. اجتاح وخز غريب ذراعه الممدودة ثم انتشر بعد ذلك في كل جسمه.

لكن... ما هـ...؟

ولوت المفاجأة والرعب كل تقاسيم وجهه.

شد مصاص الدماء على يده بقوة ثم غرس أنيابه في رسغه. وبعد دقيقة سقط جبرائيل ملء طوله دون أن يدرك ما حدث له. قبل وفاته، تمكن الملاك من رؤية إيمانويل آخر جديدا. هذا الأخير لم يعد يبدو إذاك رجلا عجوزا مسحوقا بل صار شابا قويا مملوء عافية وفتوة جعلتاه يشرق بضوئه الخاص في ليل تلك الأرض الميتة.

انحنى مصاص الدماء كي يهمس في أذن جبرائيل:

ـ شكرا لك على هذه الوجبة الاستثنائية، يا جبرائيل. بما أنني تغذيت الآن بنسغك، أظن أنه يجب علي الذهاب لزيارة إخوتك.

بعد ثوان قليلة، تحولت جثة جبرائيل إلى غبار ذرته الرياح في فضاء المنطقة فامتزج برياح الصحراء. صار إيمانويل من جديد وحيدا لكن وضعه انقلب رأسا على عقب.

ـ سأزور هؤلاء الملائكة ذائعي الصيت. أسر لنفسه. بعد ذلك، سأغادر هذه الشرنقة لحل قضية أخرى في انتظار التسوية. هناك الكثير من الأمور التي ينبغي على رب يترك أبناءه لمثل مصيرهم المحتوم أن يشرحها.

ترجم القصة عن الإسبانية الأرجنتينية:

بيار جان بروي

Twitter: @ketab_n

حكاية حب وعقاب

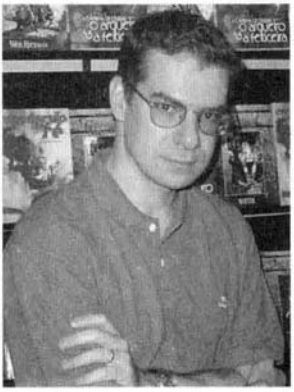

روبرتو دي سوزا كوزو/ Roberto de Souza Causo: هو ناشر ومن أهم الكتاب والمحررين في البرازيل. ولد في ساوبالو سنة ١٩٦٥. صدر له العديد من الروايات كما ترجمت نصوصه إلى الصينة والفنلندية والفرنسية واليونانية والبرتغالية والروسية والتشيكية وغيرها من اللغات العالمية. يعمل منذ ٢٠٠٦ مراسلا من البرازيل للمنشورات الأمريكية «لوكوس/ Locus» هو حاليا صاحب عمود لمجلة «تيرا/ Terra» البرازيلية.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

تحركت فلمست الفخذ البرونزية التي انكشفت من خلال شق فستانها الأبيض يد الضابط روسي. كانت ساخنة الملمس على خلاف البرد القارس المهيمن في الخارج، بل هي كانت تقريبا محمومة.

ـ بأي اسم قدمها لي عمي؟ تايلا؟ ليس تافها ولا مبتذلا كاسم...

كتفا تايلا العاريتان كانتا ترتجفان رغم الحرارة المرتفعة المنبعثة من فخدها. شعرها الأسود الذي شعثه الريح يلتصق بظهر روسي كما لو أنه يحاول عناقه. خلع سترة البذلة البيضاء التي ارتداها في الاحتفال الرسمي ووضعها على كتفي تايلا.

ـ شكرا.

ابتسمت. وغمرت روسي السعادة عندما تأمل ضحكتها.

كانت تايلا هي التي ترغب في الخروج. أصرت على ذلك كي يريها المنظر الذي تتيحه مصطبة حديقة نادي بينهيروس على شارع فاريا ليما. حدث ذلك ذات مساء سبت كانت السيارات تعبر خلاله مصفرة على بعد مسافات طويلة وكانت ساو باولو تبدو من ذاك المكان كما لو أنها غابة كثيفة من المباني المضاءة.

Twitter: @ketab_n

ألقى عليه العم رودولفو نظرة غريبة عندما غادر الغرفة برفقة تايلا. لقد قدمت معه الفتاة الشابة من ماناوس كي تحضر حفل التخرج وتسليم الشهادات. لم يرها مع عمه في أكاديمية بارو برانكو صباح ذلك اليوم. بعد ثلاث سنوات قضاها خواو روسي في الأكاديمية، صار أخيرا مفتشا في الشرطة العسكرية بساو باولو.

ـ أخبرني عمك أنك لم تعرف بعد مكان تعيينك. قالت تايلا.

ـ فعلا، هم سيحيطونني علما بذلك خلال الأسبوع المقبل. أجاب وهو منهمك في تأمل عينيها السوداوين اللتين يرى ضوء مصابيح أعمدة الإنارة منعكسا فيهما.

كان وجهها المستدير مفعما بالشباب والانتعاش وكانت بشرتها السمراء الخلاسية مشوبة بلمسة غريبة أجنبية لعل فيها بعضا من دم الهنود. وجهها الطبيعي يزينه حاجبان كثيفان وشفتان ممتلئتان وفمها ساطع كما لو أنها انتهت للتو من شرب كأس من الماء.

الفستان الأبيض يلتمع بشكل مثير والثديان الطريان الداكنان اللذان يعتصرهما القماش الناعم يبدوان على وشك الانبجاس بين لحظة وأخرى. عندما تمشي يتحركان بخفة وإغراء. تايلا صارت بالنسبة لروسي مجرد جسد رقيق ذي فخذين عريضين تنضح حركاتهما المتموجة فتنة. جسد أسمر متلو لا يتجاوز طوله المائة والستين سنتيمترا لا ينفك روسو عن مداعبته بعينيه...

ـ وكانت تعيش مع العم رودولفو...

حول عنها ناظريه.

Twitter: @ketab_n

ما زال يتساءل عما حدث لعمه كي يشيخ بهذه السرعة المذهلة فقط بعد خمس سنوات قضاها في الأمازون. كان قد غادر مع زوجته، فيرا، بغية البحث عن نباتات طبية لمركز بحوث بيولوجية بجامعة كامبيناس حيث حصل على وظيفة هامة.

توفيت فيرا بعد ثلاث سنوات. كان من الغريب فعلا أن يحدث ذلك لامرأة شابة رياضية دون سبب واضح.

استغرق رودولفو زمنا طويلا كي يتعزى عن ذلك الفقدان. عبر أبو روسي حينها بهدوء، وهو جالس إلى إحدى الطاولات مع بقية أفراد العائلة الذين كانوا في أوج أحد نقاشاتهم بصالة الرقص، عن قلقه من أجل أخيه خاصة بعد أن أصر رودولفو على العودة إلى منطقة الأمازون. يبدو أن هذا الأخير استعاد عافيته لكن الشعر الأبيض والتجاعيد التي غمرت وجهه كانت تدل على أن التكلفة التي دفعها كانت باهظة.

تساءل روسي عما إذا كانت تايلا لعبت دورا في استعادة عمه لرغبته في الحياة. لعل ما رآه مرتسما في عيني الرجل العجوز كان ناجما عن الغيرة.

ـ لا بد أن عيشك بمفردك هنا بعيدا عن عائلتك كان قاسيا. قالت تايلا.

ـ قد يكون ذلك صحيحا. لكن أبي اشترى لي شقة خلال سنتي الدراسية الثانية عوضا عن البقاء في الأكاديمية.

ذاك العام الأول الذي أمضاه في شقته الواسعة في إيتام بساو

Twitter: @ketab_n

باولو كان أسعد فترات حياته لأنه لم يعش وحيدا. لقد شاركته أدريانا حياته لما يقارب السنة قبل أن ترحل لغير عودة. فرت صحبة رجل يشتغل معها في شركة لاستيراد سيارات الـ بي أم دبليو/ BMW. والأسوأ في الأمر هو أنها كانت قد خرجت مع ذاك الرجل على امتداد بضعة أعوام قبل أن تلاقي روسي وأنها لم تتوقف عن رؤيته حتى بعد أن انتقلت للسكن مع صديقها الجديد.

كيف يمكن لي منافسة الـ بي أم دبليو؟ خمن روسي. كان من الواضح أن أدريانا ظلت محافظة على عشيقيها الاثنين كي تضاعف من الفرص المتاحة لزواجها من أحدهما. ضابط في الشرطة العسكرية له العديد من الامتيازات التي لم تجعلها لامبالية. حرك روسي دون وعي السيف المعلق على خاصرته. سيفي مقابل الـ ب أم دبليو؟

عندما يفكر روسي، خلال عمله أو مشاركته في التدريبات الميدانية، في كل تلك المرات التي كانت فيها مع ذاك الرجل، تجتاحه رغبة عارمة في الصراخ وركل العالم بقدميه. استمر إحساسه غير المحتمل بالمهانة لأنه خدع على مدى عدة أشهر حتى أنه كاد أن يفشل في دراسته بالأكاديمية في تلك السنة لكنه بدأ في تعويد نفسه على النسيان.

والخوف من الإيدز! والخوف من التحاليل!

ـ ما بك خواو؟ سألته تايلا وهي تشد على ذراعه بيديها الدافئتين.

تجاهل خواو سؤالها لكنه تساءل عما بدا على وجهه من أحاسيس قد تكون هي التي لفتت انتباه تايلا.

Twitter: @ketab_n

ـ مجرد ذكريات . . .

غمرتها الدهشة . اقتربت منه وهي تضغط على ذراعه أكثر فأكثر ثم وضعت رأسها على كتفه .

ـ هل أستطيع أن أطلب منك شيئا؟ قالت له .

ـ ماذا؟

ـ ما رأيك لو نعود إلى منزلك؟ حفلة الرقص بدأت لتوها . يمكن أن نقضي بعض الوقت معا ثم نعود بعد ذلك . لن يلاحظ أي كان غيابنا . سوف يظنون أننا بصدد الرقص في الأسفل .

أندهش لاقتراحها .

ـ إنني أحبك كثيرا . ردت عندما أحست بتردده .

ـ والعم رودولفو؟

ـ لا تقلق . هو عندما دعاني لمرافقته ، قال لي إنه يود لو أنني ألتقيك لأنك شخص رائع .

ضحكت . ثم قالت مواصلة كلامها :

ـ وللحقيقة ، فإن عمك لم يبذل مجهودا كبيرا لجعلي أقترب منك .

استحسن روسي كلامها ومرر ذراعه حول خصرها . بيد أنه لم يشعر بالارتياح . أدريانا كانت صيادة للأزواج وهو يخشى أن تكون تايلا من نفس طينتها . ومع ذلك ، فهو يريد في أعماقه أن يقع في الحب . سوف يكون ذلك أفضل علاج يدفن بواسطته ذكرى أدريانا .

Twitter: @ketab_n

على أي حال، ماذا يمكنه أن يفقد؟ هذه الجسد الأسمر الساخن المتلوي أمامه يناديه.

جسد لا يأتي من غير الحلم، عار بين يديه، الثدي الدافئ المشدود والممتلئ ملء قبضته. يحسه أملس لينا رقيقا وكامدا. الحلمة الداكنة لها طعم حلو في فمه. أنت تايلا وهي تضغط على صدره.

أولج روسي يده بين فخذيها، متحسسا ووجدها بالفعل مبللة. عندما داعبها وأثارها بأصابعه سمعها تهمس:

ـ بسرعة!

حينها حرك أصابعه بسرعة أقوى ثم جعل يمتص الحلمة وهو يحس أنها تصير أكبر فأكبر.

ـ أوه، أوه.. توقف، توقف، إنني أتلذذ يا عزيزي.

تنفست تايلا بعمق ثم عادت إلى الارتجاف مرة أخرى. داعبت شعر روسي. فوق طاولة صغيرة بجانب السرير، على مقربة منهما، كان ثمة واق ذكري.

ـ سأفعل لك شيئا من المؤكد أنك ستحبه. قالت له تايلا وهي تديره برفق على ظهره بجانبها.

عضوه الذي كان حتى تلك اللحظة على وشك القذف انتصب تماما وحينها مسكته تايلا وهي تشد عليه بقبضتها القوية وجعلت تمتصه بلسانها. تذكر روسي، بشكل لا يمكن مقاومته، أن أدريانا كانت أيضا تفعل ذلك وبطريقة جيدة جدا. امتلأت روحه بصور

Twitter: @ketab_n

أدريانا وهي تقوم بما تفعله له تايلا في ذلك الحين. كما لو أن مشاعر تايلا هي نفسها تلك التي كانت تخفق بها أدريانا، كما لو أن فمي المرأتين فم واحد وكما لو أن هذه الرغبة والمودة التي يكنها للمرأة التي ترافقه في تلك اللحظة تم نقلهما إلى صورة تلك التي تخلت عنه. ود خواو روسي آنذاك من كل قلبه لو أن أدريانا هي التي كانت بين أحضانه. تمنى لو أنها عادت إليه كي تنسيه بواسطة تلك المداعبات كل الذل وكل إحساس بالرفض وبالألم.

فتح روسي عينيه فلاحظ، عندما رفعت تايلا رأسها وانكفأت على عضوه وهي تنشر شعرها الأسود فوق ساقيه، أن وجهها يتحول في كل حركة تأتيها إلى وجه أدريانا.

الشعر الطويل الأسود صار أقصر وأكثر إشراقا. أضحى مصبوغا بلون بني أفتح من لون شعر أدريانا. بشرة جسدها المشدود فوق ساقيه أصبحت أكثر بياضا وتوردا تماما مثل بشرة أدريانا.

صرخ روسي لأن الوهم صار مفرطا في الحقيقة وفي الرعب. دفع تلك المرأة ونظر إليها وهي تسقط من السرير كي يرتطم رأسها بالحائط.

جثا فوقها فشعر أن رؤيته تكدرت، وكأن الصورة صارت مجسمة. لا، هذه الظاهرة الغريبة هي التي تتناسخ. إنها تتحول في كل مرة...

عوضا عن أدريانا الممددة على ظهرها على الأرض، ظهرت امرأة أخرى ذات وجه ضامر وشعر أشقر قصير جدا. عرف في تلك

Twitter: @ketab_n

التقاسيم العمة فيرا. امحت الصورة من جديد. ببساطة، يبدو وأنه فقد عقله لكنه لا يقدر أن يكذب عينيه عندما رأى رجلا شابا أسمر ذا شعر أصهب. ماذا يمكن أن يكون كل هذا الذي يحدث؟ تحولت الصورة بعد قليل إلى هندية صغيرة ذات ثديين صغيرين وكليتين ملساوين.

ثم صارت هندية أخرى...

والآن، أضحت هنديا ذا جسد أحمر وصدر عريض محزز بندوب شعائرية.

ثم تحولت إلى هندية أخرى فهنديا... ثم أضحت حيوانا، فهدا مرقطا، ثعبانا ضخما، خفاشا، كائنا لا يمت للإنسان بصلة، غريبا، غير معروف، خارقا، ذا جلد شفاف وأطراف متعددة تغطيها سويقات رقيقة، رسومات رطبة يتفرع عنها اثنا عشر إصبعا بلا أظافر شبيهة بالديدان وممتدة نحوه.

ارتد روسي إلى الوراء. ارتطم بظهر هذا الكائن الذي اكتشفه في هذه الليلة. تدحرج السيف الذي كان يعلقه على خاصرته على الأرض محدثا رنينا معدنيا.

أجل. النصل المثلوم ما زال قادرا على الذبح. التفت نحو المخلوق الغريب وهو يخرج السيف من الغمد. منذ ذلك الحين، صار إدراكه المصدوم. المزعزع رافضا لاعتبار كل ما هو بصدد رؤيته هلوسة.

الشيء المتخذ شكل أدريانا الآن يحاول الإمساك به.

Twitter: @ketab_n

ـ سأفعل لك شيئا من المؤكد أنك ستحبه.

هاجمه روسي وغرس السيف في صدره وكله خشية من أن يكون قد ذبح أدريانا فعلا.

رأى الكائن يحاول الصعود على السرير وهو يتدحرج على شكل كرة. رآه يبكي تماما مثلما كانت تفعل نفس المرأة التي سيظل يشتهيها دائما ويعتقد أنه ما زال يعشقها.

لكن النشيج تحول في ذات اللحظة إلى صوت غريب وظهر الكائن من جديد.

تراجع روسي إلى الوراء، بيد أن شيئا ما كان يحاول القبض عليه. انفجر امتداد عنيف لتلك الصرخة في رأسه ثم تلاه فيض جارف من الصور مرت كما لو أنها فيلم استغرق ألف ساعة مضغوطة في ستين ثانية لا تزيد. وأخيرا، فهم روسي.

* * *

لقد اكتشف رودولفو وفيرا ذلك المخلوق خلال أبحاثهما في الأمازون. في البداية، أغرى الكائن فيرا بأن اتخذ شكل عشيق لم تنسه أبدا. والده كان ذات يوم قد أسر له بشكوكه اتجاه زوجة عمه التي اقترنت حسب رأيه برودولفو فقط من أجل منصبه في الجامعة. إذن، فيرا، هي الأخرى، سعت أيضا إلى الارتباط بالأفضل فيما هو متاح. بيد أنها استطاعت أن تعاشر في الغابة الزوج والعشيق السابق.

Twitter: @ketab_n

فهم روسي أخيرا أنه يجب دفع الثمن دائما. هذا المخلوق يمتص روح من يرافقه. المرض المفاجئ والغامض الذي أصاب فيرا والشيخوخة المبكرة التي داهمت رودولفو يمكن تفسيرهما هكذا بطريقة مقنعة. بعد أن قتل الكائن فيرا، استحوذ على مكانها.

إضافة إلى ذلك، وحتى قبل أن يلتقي الزوجين، أغرى ذلك الكائن هنودا كثيرين ثم قتلهم. وقبلهم قتل حيوانات من الغابة. امتص نسغ الطين في قاع النهر والهواء كي يبقى على قيد الحياة ويصير أكثر نقاء على مر السنين ـ مئات السنين ربما ـ منذ قدومه إلى الأرض.

أدرك روسي أن ذلك المخلوق يمتلك قدرة مذهلة على التكيف يستطيع من خلالها أن يستغل حب ضحيته بأن يصبح العشيق الكامل والرفيق المحتم الذي لا يمكن الاستغناء عنه إلى أن يفرقهما الموت.

وهكذا فهم أيضا أن الضحايا كانوا متفقين ـ بالنسبة لما يملكونه من أموال، على أن يتقاسموا مع ذلك المخلوق مرتباتهم ـ وعلى إبرام ذلك العقد الذي ينص على الحب المتبادل حتى الموت.

ـ دعني أفعل لك شيئا من المؤكد أنك ستحبه.

أحس روسي بأنه مستنزف. أخيرا لم يعد يفكر بأدريانا بالمرة لأنها حتى وإن كانت قد خانته فإنه أضحى متيقنا من أنها ستدفع الثمن غاليا.

عندما سمع روسي العم رودولفو يركن سيارته الدودج مانيوم/

Twitter: @ketab_n

Dodge Magnum أمام منزله، عرف أن الليلة أبعد كثيرا من أن تنتهي لأن بعض أشكال العقاب لا تفي بالحاجة أبدا.

بعد دقائق عديدة، تمكن من قلب جسد المخلوق العجيب ومن سحب سيفه. لا شك أنه سيحتاجه أثناء مواجهته لعمه الذي جاء ليقتص لمقتل حبيبته.

ترجمة: لورانس لو مير/ Laurence Le Maire

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

الإمبراطورة

فلاديمير هيرناندیز/ Vladimir Hernandez: ولد بهافانا في كوبا سنة ١٩٦٦ تحصل على جائزة إسبيرال/ Espiral سنة ٢٠٠٢. له العديد من القصص المنشورة في دوريات كما أن نصوصه أدرجت ضمن أنطولوجيا قصة الخيال العلمي في أمريكا اللاتينية. وصلت روايته القصيرة «Signos de la guerra» إلى القائمة النهائية في المسابقة التي تنظمها جامعة الفنون التطبيقية في قطالونيا. يقيم فلاديمير هيرناندیز حاليا في إسبانيا.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

عاد الصوت من جديد. ذلك المخلوق يلاحقني في الظلام الحالك. الإمبراطورة، وهي شبح مجنح قاتل تسعى إلى إيجاد طريقة للوصول إلي من خلال الوصلات المعدنية التي شكلتها قنوات تكييف الهواء. حرارة الأنابيب التي تحيط بي تكدر رؤيتها فتحاول تحديد مكاني بواسطة حواسها الأخرى. أغلق عيني وأراها ذهنيا: هي مخلوق شبيه بالحشرة، سرعوفة سوداء عملاقة، يبلغ طول جناحيها وهما مبسوطان المترين ونصف. ها هي تقترب. الإمبراطورة تتمتع بذكاء الكائنات الفضائية. هي أكثر مكرا وفطنة مني.

وجدت لي ملجأ محفوفا بالمخاطر في الأحشاء المعدنية للإيشر/ l'Escher هكذا صرت محاصرة على متن مركبتي. لم أعد أقدر حتى على بلوغ أجهزة التحكم في الملاحة. أنا الآن عمياء مثل الإمبراطورة تماما: المنظار البصري لا يساعدني على رؤية شيء آخر غير الحاجز الحراري الذي يخفيني عن أعين ذلك المخلوق. أرى موجات حرارية رقيقة ترقص على وقع أصوات أجهزة المركبة راسمة أشباحا مجسمة بأبعادها الثلاثة من خلال انهمار كثيف لانفجارات لونية. أجهزة الرؤية تسجل رموزا أبجدية ـ رقمية تشير إلى الكشف عن تدفق

Twitter: @ketab_n

كيميائي: الإمبراطورة تقصفني بسحابة من عصارات متغيرة في محاولة منها لتحطيم إرادتي. أبتهل إلى الله أن لا تنجح في تحقيق ذلك. أنا لست واحدة منهم. بيد أنني أعلم أن مقاومتي لن تجدي. أنا فقط أكسب وقتا ليس ثمة من داع له. لا يوجد أي أحد لإنقاذي. أنا عمياء وعاجزة وضائعة. ضعت منذ اليوم الذي قررت فيه الموافقة على عرض كايل.

الجميل كايل، كايل، غريب الأطوار.

لتحترق روحه في الجحيم!

* * *

لم يكن من السهل العثور علي بالنسبة لكايل. في الواقع، تمكنه من اختراق الشبكة المعقدة للمفوضين وللإجراءات المستخدمة كغطاء لي فاجأني أيما مفاجأة. لا شك أنه كان قد تزود بسلسلة طويلة من الوسائط من خلال خمسة أنظمة كونية كي يصل إلى مقري في غادير/ Gadiir.

بالإضافة إلى ذلك، اندهشت من اتصالي بهذا الاقتراح الذي أتاني بنفسه إلى حيث أنا بتلك الطريقة، ذاك أنني كنت أنا التي تختار وتقرر منذ ما يزيد عن العشرين سنة. حذري المفرط سمح لي بالتحرك بأمان وسلاسة في العالم الخطير للسوق السوداء التي كانت تنتشر كما لو أنها طفرة فطر يعمل مبضعه في فجوات الاقتصاد الكوني. مفتاح نجاحي يكمن في العدد المهم من المتصيدين المنقبين الذين وزعتهم ضمن شبكة على جميع أنحاء الفيديرالية. كانوا يتتبعون

Twitter: @ketab_n

بهوس المعلومة عن أصغر الفرص الشبيهة بتفاصيل آلة بديعة ذات حركة متجزئة ومتجانسة وغير نظامية. كما كانوا يحددون الطرق الرئيسية المحتملة والمؤدية للثروة التي يمكن أن أتصرف وفقها. كانوا يؤمنون بقائي بفضل عملهم الفائق السرعة، وبهوامش ضيقة للمناورة. هكذا كنت أضمن أن لا أصطدم أبدا في طريقي بـ «الحوت». تمكنت من بناء إمبراطوريتي الصغيرة وراء واجهة من المشاريع التجارية تدعى «ماكس للتطبيقات العمودية / الأفقية» وكانت النظم الفرعية المسهبة في الحماية التي كنت أكيفها مع كل واحدة من عملياتي غير الشرعية تقيني تماما من السلطات الاتحادية.

ومع ذلك، تمكن كايل من الوصول إلى شبكة مندوبي مما جعلني أفترض أنه متألق وعبقري. لمجرد رؤيته جالسا في مكتبي بغادير، يمكن استنتاج درجة احترازه العجيب ومهارته وفطنته وقدرة على الإقناع كان عليه أن يظهرها. أنا دائمة الارتياب من الاتصال الأول. بيد أن أعواني أكدوا لي أن كايل ليس شرطيا. وقررت أن أستمع إليه.

أنا لن أنكر أن جماله الغريب فتنني منذ أول لحظة. كل شيء فيه يضوع بسيميائية انفعالية مكثفة وبمزيج من نجاح باهر وهاجس معتم شغل في داخلي نوابض فطرية. في ذاك الحين، ظننتني أتأمله على بعد مسافة آمنة، وراء حاجز لائق من برودة ملائمة للعلاقات التجارية. بيد أنني لاشعوريا، كنت بالفعل قد استسلمت.

كان كايل طويل القامة ورفيعها، وكانت بشرته شاحبة وقسماته

Twitter: @ketab_n

رقيقة مثل سكان مناطق إيريال. أما ملابسه فكانت كما لو أنها لقادم من المناطق القصية. كان كايل ذا شعر داكن كثيف منسدل على كتفيه مثل عباءة سوداء مخملية تصنع تباينا صارخا مع زرقة عينيه. تلك الزرقة السماوية المزهرة في طبقات منضدة منذ البؤبؤين كي تتلاشى وسط حلقة رمادية في بياض العين البيضاوية. وراء تينك العينين، يخفق تيار جارف وتنبض زوبعة معدية، تحفظها قوة يقظة ترعبني وتجذبني في نفس الوقت.

كان واقفا هناك، غريبا وجذابا بطريقته الساحرة في جعل الكلمات مملوءة بالحياة وفي عرض براهينه المعصومة من الخطأ باقتناع راسخ لا يمكن دحضه. واقترح علي عملية القرن.

هزتني قصة هذا الضيف الغريب. ولد كايل في قلعة اتحادية في قلب أحد أنظمة الصنتور/ Centaure. أنهى دراسته كي يصبح اختصاصيا في علم الوراثة وعمل باحثا على نظرية تأثير باندور الناجمة عن إحياء الهندسة الحيوية. أمضى أهم فترة من حياته في خلق هجناء في مختبرات عسكرية متطورة وقفز من مشروع بحثي إلى آخر إلى أن وجد نفسه على الجبهة مشاركا الفريق العلمي المكلف بمكافحة الجنادب.

كنا في حالة حرب منذ أكثر من خمسة عشر عاما، الحرب الأكثر خرابا التي لم يعشها أي كان فيما مضى من الأزمنة. كان العدو القادم من الفضاء ذا حضارة قوية حطت ذات يوم على الأراضي الاتحادية

Twitter: @ketab_n

فدمرت كل ما اعترضها في طريقها من بنايات ومساكن بشرية. كشف الغرباء منذ البداية عن كونهم خصوما لا يتقنون غير القتل. ورغم أنهم يمتلكون تكنولوجيا فائقة التطور بالنسبة لما نملكه نحن من قدرات بسيطة، فإنهم أظهروا شراسة لا يمكن إدراك سرها. القوة التدميرية المترعة حقدا لا يصالح وغيظا رهيبا كانت تبرهن على عزمهم المطلق على إبادة الجنس البشري.

كانت تلك الكائنات الفضائية تلقب بالجنادب لأن أسرابها تكتسح المعاقل البشرية مثل غيوم من الجراد. كانت تمحق كل شيء ولكنها لم تسجن أيا كان أبدا. لم يستطع أحد الاتصال بها خلال كل تلك السنوات، لكن يقال إنها كانت تقوم بحملة صليبية دينية ضد أطماعنا التوسعية الإقليمية. دارسو علم الأحياء وعلماء الاجتماع تحدثوا عن صراع الثقافات. مجرد تكهنات. على أي حال، نحن تعلمنا الدرس الأقسى من تاريخنا. لأول مرة، نواجه عدوا غير متوقع حقا، عدوا يمارس معنا قسوة لا يمكن وصف بشاعتها كما أنه لا يولي أي اهتمام بالمفاوضات أو السعي إلى التعايش السلمي. ذاك العدو كان مصمما فقط على إبادتنا حتى آخر نفر فينا. كان علينا أن ندفع ملايين الأرواح المسفوحة وأن نراه يدمر العديد من المستوطنات كي نفهمه. بيد أننا انخرطنا في هذه المعركة وشرعنا في آداء واجبنا المتمثل في صد زحف الجراد.

بدأنا في إرغامهم على الارتداد إلى الوراء على مدى عشر

Twitter: @ketab_n

سنوات. اليوم وحسب ما ورد من أنباء الجبهة، تمكنت أساطيل الفيدرالية من عكس مسار الحرب. لقد غزونا أراضي الأعداء واسترجعنا نظمنا التي خسرناها في السابق كما أننا تمكننا من توسيع دائرة النفوذ الإنساني. غير أننا لم نتمكن تماما من دحرهم بسبب افتقارنا لمعلومات عنهم.

في مكان ما ـ مكان لا أعرف اسمه بالتدقيق ـ قاتلت قواتنا هؤلاء الرجال المعدنيين المتبلرين ذوي الهيأة المرتكزة على السيليكون. الجبهة كانت توجد في مكان بعيد عن مقاطعتنا الفيدرالية. على مر السنين، فقد الصراع الكثير من الأهمية. في غادير، وعلى مدار «سواينك» العملاقة الحمراء، على مسافة سبعة عشرة سنة ضوئية من «البجعة»، القوس السفلي للذراع اللولبية، تحولت الحرب ضد الجراد إلى ظاهرة بعيدة وأقل مأساوية مما كانت عليه فيما مضى. الحدث كان يقع في الطرف المتوحش من الثغور البعيدة للأنظمة الهامة والمتحضرة وحتى تلك الأبعد من العوالم الحدودية للمجال.

الجيش كان محظوظا جدا. لا أعرف إذا كان ذلك قد حدث خلال هجوم في الفضاء أو أثناء معارك دارت في هذا العالم حيث اشتبكت القوات، لكن المقاتلين تمكنوا من القبض على الإمبراطورة والاحتفاظ بها أسيرة.

ـ الإمبراطورة الجرادة، عقب كايل، هي شكل من أشكال الحياة الأكثر تطورا مما أمكن مصادفته خلال كامل التاريخ الإنساني. إنها فرصة لإيجاد خميرة بيولوجية تفتح على آلاف المجالات الجديدة للأبحاث العلمية.

Twitter: @ketab_n

يبدو أن الرجال المعدنيين قد طوروا تكنولوجيا عضوية تماما. كل حضارتهم كانت مبنية على أسراب استعمارية متكونة من طوائف اجتماعية مغلقة ومتخصصة تدور حول زوجين مهيمنين في كل تجمع: هما أهم مخلوقات هذا الجنس ويسميهما العلماء الإمبراطورة والإمبراطور وهما اللذان يسيران هيأة القبائل العالمية. تتكون الطبقات الاجتماعية للجنادب من: المربيات والمحاربات والعاملات. تشكيلة مركبة من الطبقات الأصلية والفرعية التي أنشأتها بواسطة الآليات التكنو ـ تطورية شديدة التعقيد على مدى قرون من التوسع الكوكبي.

الإمبراطورة، أشار كايل بنبرة مقنعة للغاية، كانت حجر الزاوية في فهمنا لسير العمل الاجتماعي للجراد، وفي إدراك أسرار لغتهم وتسلسلهم الطبقي. لقد فتحت الطريق نحو وعي أجنبي كان العديد من العلماء أصيلي الفيدرالية يظنون أنه من المستحيل بلوغه بواسطة وسائل الاتصال اللغوية البشرية.

الجيد هو أن الحاكمة السابقة لجماعة من تلك الكائنات الفضائية التي وقع تدميرها تعيش محبوسة في مخبر على كويكب تابع للكتيبة العسكرية تانتال، مختزلة في حالة فأر مختبر بالغ السرية، محاطة بكل المعدات التجريبية ومحشوة بالمخدرات غير العادية لمنع استئنافها لسيطرتها على جسدها وتدمير ذاتها بنفسها.

كون كايل فرعا من فريق علماء الأحياء المكلفين بإرساء اتصال بالإمبراطورة المخدرة ولكن أحدهم طرده من المشروع. ذاك التسريح ـ الذي لم يعرف كايل أسبابه أبداً ـ ألقى الضوء على جانب من

Twitter: @ketab_n

شخصيته هو نفسه كان يجهله. تسبب قرار رفته في استيائه وإحساسه بالأذى مما جعله يمر بفترة عويصة قرر جراءها الانتقام من التنتال. وضع خطة عمله. مسكونا بخيبة الأمل ومشحونا بالغيظ، نزل إلى أنفاق الاقتصاديات حيث تتحول العلوم بسرعة إلى سلعة وتكتسب آفاقا جديدة وغير مشبوهة. كان يبحث عن حرفي من السوق السوداء يمتلك العلاقات والاتصالات الصحيحة لتحويل تلك المعلومة إلى ثروة. إلى أن التقاني...

كايل يريد أن نختطف الإمبراطورة وأن نبيعها بسعر جيد معتمدين في ذلك على قيمتها لكونها مخلوقا فضائيا لا ينتمي للجنس البشري.

ـ هذا جنون، أجبته، حماقة لا معنى لها.

ـ بالضبط، يا ماكس، رد كايل بإصرار مستغلا شقوق الشرخ الفظيع في درع شكوكي وريبتي، ولذلك سوف تسير الأمور كما ينبغي.

هو يعلم أن لهذه الفكرة الهاذية فرصة للنجاح في إقناعي في نهاية المطاف. شرح لي التفاصيل، وحدثني عن حزام نيازك النجمة G1-845 البعيدة حيث يوجد مختبر التانتال، كما أسر لي بالمعلومات التي في حوزته عن موقعه وبالرموز والتدابير التي يمكنننا بواسطتها خداع النظم العسكرية والنفوذ إلى القاعدة. كان متحسبا لكل ما قد يطرأ. حدثني عن «المساعدة» التي سنتلقاها من طرف شخص ذي صلة متواجد بالداخل وعن نقاط ضعف الدفاع الداخلي للمحطة. نثر قصة التفاصيل المقنعة ونوه بأهمية الأرباح التي يمكن أن نجنيها إذا تمكنا

Twitter: @ketab_n

من الإفراج عن الإمبراطورة وتسليمها لأياد أمينة وهو يراقب ردود فعلي.

بدأت شكوكي في التبخر والتلاشي تحت وطأة قوة منطق كايل الذي لا يمكن إطلاقا تفاديه وبسبب خيالي المتحمس. من قال إن هذه الخطة لا يمكن تحقيقها؟ ينبغي تقييم الفرص. وإذا أثبت المشروع أنه قابل للرسوخ فإنني سأصبح نقطة التحويل بين الكونسورتيوم/ الشركات الكبرى العسكرية المسلوبة والمشترين غير الشرعيين والجشعين. سأسعى إلى أن أكون نقطة نقل سريعة جدا، وإن لم أحقق ذلك، فإن قيمة السلع من شأنها أن تدمرني. حاولنا أن نحسب الثروة التي يمكن أن تنتج عن الإمبراطورة التي يمكننا وفقا لها معرفة أي الأبواب يجب علينا أن نطرقها. على أنه ينبغي علينا أن تتصرف بحذر شديد.

وفقا لكايل، تعمل المختبرات التجمعية التي يحتمل أن تكون مهتمة بالإمبراطورة في أربعة مجالات للبحوث: الحرب الإحيائية، تكنولوجيا النانو، الشرائح الحيوية والطاقات العالية. على التنتال، البحوث الوحيدة التي تم خوضها تتعلق بفرع الأسلحة البيولوجية وفريق المختصين في علم الجينات الذي ينتمي إليه كايل.

كانت الإمبراطورة حقا كائنا حيا مركبا من التكنولوجيا المعدنية. تركيبتها الخلوية لها ملايين الآلات الجزيئية الفرعية، وأدوات بيولوجية يمكنها أن توفر لنا المفاتيح الأساسية لتطوير تكنولوجيا النانو المجيبة ذاتيا والتي ما زالت راكدة عندنا، أو تطور الأسلحة البيولوجية

Twitter: @ketab_n

والدفاعات الذكية. قدم لي كايل شروحات عن المكتبات المتطورة للعينات الصغرى للحمض النووي للكائنات الفضائية والتي تمكنهم من بلوغ أمداء ضخمة من الذاكرة النوعية ومن المعلومات السلفية التي تعود إلى آلاف السنين والمحفوظة بأكثر كفاءة وامتدادا لتعميرها مما لا يمكن إطلاقا أن تحققه وسائلنا ودعائمنا الإعلامية. ناهيك عن أنه من المرجح أن في هذه الجينات المحفوظة معلومات عن الانصهار البارد ودروع الطاقة المتولدة عن الكائنات البيولوجية، الأمر الذي سيسمح لنا بتطوير نظم لإنتاج الطاقة الأنظف.

«اسرقي الإمبراطورة ويمكنك حينها أن تطلبي السعر الذي تريدينه.» أكد لي كايل ذات مساء، على شاطئ البحر، وهو ينظر إلي بثبات. واستسلمت. قبلت اقتراحه، وأنا مفتونة بالثروة التي اقترحها علي وبالانفعال المتوحش الذي ينبض في زرقة عينيه السماوية.

انتقلنا إلى مرحلة التنفيذ. تحولنا إلى مان، الكوكب الداخلي أكثر من أي كوكب آخر في مجموعة سواينك، جنة المهربين الاستثنائية. كانت لي علاقات جيدة مع وسطاء ذوي نفوذ. تركت مركبتي الإيشر في أحد مراسي سياح موانئ الفضاء المدارية. اكترينا غرفة آمنة ومحصنة في فندق مصعد الفضاء وتركنا أنفسنا للهوي في بئر انعدام الجاذبية في سفرة ستدوم يومين.

ما زلت أتذكر وجه كايل، بالقرب من نافذة الغرفة الزجاجية المستقطبة. كان صارما وكانت عيناه ثابتتين على سواينك كما لو أنه يود استيعاب كل ذلك الدفق من الفوتونات/ الضويئات المنبعثة من

Twitter: @ketab_n

النجم المشرف على الموت. سطوع «العملاقة الحمراء» يضيء بشرته البيضاء ونتوءات عضلات الوجه. كان قوس ظهره بالغ الفتوة.

خلال لحظات كثافة نادرة، من إحدى ليالي «مان»، وبينما كانت كتلة الفندق العائم تخترق طبقات الغلاف الجوي العلوي، وجدت نفسي أتأوه من النشوة تحت جسد كايل المشتعل الذي أسرتني قوته. خصلات شعره المبتلة كانت تنتشر كما لو أنها لطخات حبر جاف تغطي نهدي. أحسست بسائل حار يقع على جسدي تحت تأثير الجاذبية المتزايدة. كانت دموعه تنهمر حارة. تطفو في صمت حميميته الأكثر كتمانا.

على سطح «مان»، بدأت دفعة واحدة في تحريك آلياتي المتعددة الاتصالات محاولة تقدير مصلحة العملاء المحتملين وجس مدى رسوخ حدود الجسر الذي سأنشئه قريبا. حققت تقدما بشكل دفعني إلى أن أقرر فورا استدعاء كل أعضاء فريقي المتواجدين على الميدان والذين هم على اختصاص كبير مما جعلني أثق فيهم ثقة عمياء وأقدر ما يمثلونه من قوة إستراتيجية مندمجة تماما مع ما تتطلبه سرعة هذا النوع من العمل. نيكو، الرياضية الجريئة الغامضة والباحثة البيولوجية المقيمة كانت أول الحضور. تخلت عن كل أعمالها على كوكب «دكستار» الذي يوجد على بعد سبع سنوات ضوئية واستقلت سفينة حربية سريعة ذات دفع نووي إلى أن وصلت إلى «سواينك». ثم جاء بعد ذلك المترافقان دائما جيان شينغ وأنطونيو من قلب التخوم. هما ماكران وقاسيان وغير مرنين في تعاملهما لكنهما يؤديان بمهارة مطلقة

Twitter: @ketab_n

هذا النوع من المهمات. كان علينا انتظار واشوسكي/ Washowski لمدة أسبوع كامل مما وفر لنا ما يكفي من الوقت لتهيئة المستودع الصغير في الإيشر وتكييف البرمجيات التي ستربطه بقاعة اجتماعاتنا بعناية فائقة الدقة. مقارنة بالواشوسكي، يمكن القول إن مركبة الإيشر لا تعدو أن تكون هيكلا.

كان واشوسكي صقرا ذا مخ عضوي بشري محتجز في نواة قيادة مدرعة لقناص مغير. يبلغ طول جسمه ثمانية أمتار، كما أنه جيد التحكم ومدجج بالسلاح، تسيره كتلة من المادة الرمادية المقترنة بأطرافه الاصطناعية والتي يبلغ وزنها الكيلوغرام ونصف. صنع الأسطول مائة من هذه المخلوقات في غضون العقد الماضي. لعب القناصة الهجناء المزودون بنظام متطور لأنابيب الأجهزة الملتقطة للطاقة (التوربينات) والمدججون بأسلحة البلازما دورا رئيسيا خلال الموجة الهجومية الأولى على الجنادب. الصقور، المفجرون الانتحاريون والمهاجمون كالصواعق، تحولوا إلى سحابة حقيقية مدمرة في مواجهة سفن الأعداء البيولوجية. صارت بطولة أولئك الوطنيين الذين سرعان ما نسيهم الناجون من الجيش الفيدرالي الظافر الآن مهملة في بعض من فصول من صفحات كتب التاريخ المركونة على الأرفف التي تعلوها الغبار. سبعة منهم فقط نجوا من الحرب. وهم الآن نفايات ومرتزقة تحت الطلب، يعيشون على هامش مجتمع بشري يرى فيهم مجرد رفات لمخلفات أثرية أجنبية دخيلة.

واشوسكي كان عميلي المفضل لمثل هذا النوع من المأموريات.

Twitter: @ketab_n

أوضحت لأعواني الخطة، ومددتهم برؤية ثلاثية الأبعاد للوضعية والهدف. عرضت عليهم مبالغ هامة مقابل شيء قليل من الأدرينالين لكل منهم. أنصتوا إلي بانتباه. كانت قسماتهم مشدودة وأنظارهم مركزة على الخارطة التي تضم كل المواقع. استفسروا عن كل التفاصيل وسطروا كل المسارات والطرق. وضعوا صيغة أولية للخطط العسكرية الافتراضية (للسوقيات) وحاولوا التحقق من جميع المتغيرات التي طرح كايل بعضا منها.

ـ لا، قالوا وهم يكررون كلامي، هذا جنون.

ـ السعر جيد، صرح نيكو وهو يؤرجح ذراعه ببطء، لكن، هناك، ينتظرنا الكثير من المجهول. عندما سنكون في التنتال قد يصبح الوضع كارثيا.

أوضح لي جيان شينغ أنهم يعرضون حياتهم للخطر من أجل شيء لا يمكن ضمان وجوده. واشوسكي نفسه العاشق، مثل كايل، ولو نسبيا لفكرة الأخذ بالثأر، ورغم تأكده من أنه يحظى بالحماية والحرية أكثر من الآخرين، متوجس هو ايضا من العملية.

اتخذ أنطونيو نبرته الدبلوماسية كي يصرح:

ـ ولكن مخاطرتنا هذه الكبيرة قد تكون من أجل متغيرات غير مضمونة.

ألقى نظرة مصرة إلى كايل ثم واصل:

ـ ربما كان علينا الرفع من قيمة المزايدات.

وحينها قرر كايل أن يدفع قربانا بسيطا كان يحتفظ به لآخر لحظة كي يحقق انتصاره الكاسح في جولته هذه المعقدة:

Twitter: @ketab_n

ـ سنوهب الخلود كمقابل لما سننجزه.

قذف في وجوهنا بهذا الوعد بالأبدية بطريقة تكاد تكون عدوانية ومتعالية إلى حد الوقاحة. كانت الكلمة غارقة في الروحانيات. وهو يتمعن في وجوهنا المذهولة، كشف لنا كايل أن جينات الإمبراطورة تمتلك آليات كروموزومية ـ بروتينية تساعدها على استنساخ خصائص الكائنات الفضائية في الحمض النووي للخلية البشرية كتلك التي تمكنها من تحقيق تهجينات للخلايا على مدى العمر، الشيء الذي لا يمكن إطلاقا التوصل إلى إدراكه بالنسبة لعلم الشيخوخة لدينا وبالتالي فهي قادرة على نقل مركب البروتينات والحمض النووي الاصطناعيين القادرين على الحفاظ إلى ما لا نهاية له على الخلية مما يؤدي إلى تلافي التدهور الكروموزومي وتراكم أضرار التمامة الجينية/ الجينوم[1] الذي يقودنا إلى الشيخوخة والموت.

كائن فضائي يتحول إلى أداة لتحقيق الخلود الإنساني!!! لقد كان ذلك رائعا فعلا، غريبا ومفرطا في اختلافه عن كل مألوف. لا أحد فينا قدر على تصديق كايل لذلك أخضعته للمسح الضوئي على مدى ساعات بواسطة أجهزة التشخيص في الإيشر وتحت الأنظار المتيقظة لجيان شينغ المختص في علم الأحياء الجزيئي/ الذري.

انتظرنا واللهفة إلى معرفة الحقيقة تملؤنا، إلى أن برز جيان شينغ

---

(١) الجينوم/ التمامة الجينية: هي كامل المادة الوراثية للإنسان أو لأي نوع من الكائنات الحية الأخرى التي تحملها كروموزومات خلية ما. تلك المادة تكون مشفرة في الحمض النووي. الجينوم البشري يتكون من حوالي ٣٠٠٠٠ جينة موزعة...

Twitter: @ketab_n

من المختبر وأطلعنا على كل الأدلة في التقرير: الدورات الخلوية لكايل على كمال عظيم. جسمه محمي تماما من الشيخوخة وكايل لا يفتري على الحقيقة. على تنتال، تم تعديل حمضه النووي بواسطة جينوم الإمبراطورة لذلك فهو الآن أبدي لا يموت.

عرض جيان شينغ إثر ذلك وجهة نظر عبرنا عنها جميعنا بصوت خافت:

ـ الأمر جدير بأن نجازف من أجله بحياتنا كي نسرق الأبدية.

ـ ماذا يهمنا من الأبدية! هتف واشوسكي بنبرة ساخطة.

كما كايل، واشوسكي كان لا يتوق إلى غير الانتقام من أولئك العسكريين، والغارة على تنتال أضحت بالنسبة له رمزا للتحدي والانتقام.

في وقت لاحق، خضت شجارا عنيفا مع كايل في قمرتي. كنت أصرخ وكانت قوة إرادة كل منا تتصادم مع إرادة الآخر في اشتباك منهك. لماذا أخفى عني قصة الخلود تلك؟ اكتفى بإرواء ظمئي ببعض الكلمات الرقيقة والمداعبات. زاغ بثورتي العارمة بطريقته الخاصة، وجعل إرادتي تتلاشى بالسهولة ذاتها التي كان يوقظ بها دائما رغبتي.

بدئت الخطة بعد ذلك بيومين. كان لدينا الكثير مما يجب عمله. غادر نيكو وأنطونيو وجيان شينغ نحو تيسلا لإعداد التجهيزات اللازمة. لم يثق واشوسكي ببيانات كايل وتعاقد مع ثلاثة من المرتزقة الارتجافيين لتعزيز مجموعتنا. «كلما كان لدينا عضلات أكثر، كان لنا

Twitter: @ketab_n

قبضات أفضل». شرح كايل الذي تركته على كويكب مان مع متخصص في علم الأجنة لصنع القفص المناسب لنقل الكائن الفضائي ثم ذهبت كي أضبط تفاصيل السفر على كوكب دوبرينيا.

ما زلت أتذكر الأسبوع الذي قضيته على ذاك الكوكب، مصارعة في كل يوم متلازمة الحرمان في غياب كايل، في حين كنت أتفاوض بشأن نقل الإيشر خفية بواسطة فريق رشيق من طراز رفيع ينتمي إلى شركات توبوليف للنقل. كانت ندف الثلج الخفيفة تتساقط على نيو غوركي. البلورات المتجمدة والملوثة بالهباءات الصناعية تعتم صفاء الضياء الشتوي الشاحب. ما زالت صورة كايل مطبوعة في ذهني وأنا أعين معه نقاط اللقاءات وإحداثيات عمليات الإنزال وترتيبات البوابات الكبيرة وسفن الشحن العابرة للكواكب. الـ G1-845 حيث يوجد مختبر التانتال الذي يبدو مثل قزم داكن ضئيل، يحيط به طوق كبير من الكويكبات وبعض السحب الجزيئية. هذه المنظومة كانت بمنأى عن الطرق العادية وكان الوصول إليها محظورا على السفن والبواخر المدنية، باستثناء بعض التكتلات التجارية التي كانت تملك ترخيصا باستخدامها كمسلك عبور إلى النجوم الأخرى. كان شاغلي الوحيد هو الدخول إلى المنطقة دون أن يتم رصدي، بما أن الإيشر مجهز بآلته الخاصة شديدة الدفع التي ستخرجنا فور حصولنا على الكائن الفضائي.

أبرمنا اتفاقا. في غضون أسبوعين، ستستخدم قافلة تجارية تتكون من اثني عشرة سفينة شحن آلية لشركات توبوليف البوابات العظمى

Twitter: @ketab_n

المؤدية إلى الـ G1-845 التي تقع على مسارها المعتاد. سوف نخفي الإيشر في مقصورة بالسفينة الأخيرة. سيفتح بعد ذلك برنامج شبه تلقائي لمدة ثلاث دقائق بابا من المستودع يمكننا الخروج منه. فيما بعد، سأتكفل بالباقي، أكد لي المختص.

عدت إلى مان وقمت بالعديد من الاتصالات. كان لدي اثنين من المشترين في نواة البضائع. كل شيء كان على أتم استعداد وأعضاء الفريق الباقون أتوا لتوهم. رافق واشوسكي المرتزقة الإضافيين الثلاثة. ثلاثة أصاهب معدلون اصطناعيا. كانوا من نوع رينو، مستنسخين من المعارك ومتأتين من شانون. كانوا صموتين متنبهين وعلى اتصال عصبي بواشوسكي. هم محاربون مثاليون على استعداد تام لمباشرة العمل.

بعد تلخيص سير العملية لآخر مرة، غادرنا باتجاه ميناء فضائي تجاري يقع على ألتاير حيث نقطة التقائنا بسفن توبوليف. على مسافة بعيدة، كانت النجوم قد غيرت مواقعها في المجرى السماوي في حين قفزت القافلة من خلال البوابة، وغرقت مرة أخرى في الحميمية الاستثنائية التي كان يمنحها لي كايل، أنفاسه الساخنة على جلدي والهواء المحمل بتلك الطاقة الكهربائية التي تضربني كما لو أنها مخدر يلفحني.

بعد عمليتي إنزال، غادر الإيشر سفينة الشحن وبانت لنا حينها حلقة كويكبات G1-845 كما لو أنها محيط من الجليد أحادي اللون والصخور. استغرقنا أربعة أيام كي نعثر على التنتال، بيد أنها كانت

Twitter: @ketab_n

هناك، مخبأة تماما في تجويف كويكب، في المكان الذي كان قد عينه كايل بالضبط. مثل سمكة طيارة ملتصقة ببطن سمكة قرش، كنت أخبئ سفينتي وراء صخرة على بعد خمسين كيلومترا من الهدف.

حانت لحظة المرور إلى التنفيذ. نزلت إلى المستودع ورأيت رفاقي ينزلقون إلى مقصورة واشوسكي. بأسلحتهم الغريبة وهم يرتدون دروعهم المصنوعة من المواد النانوتكنولوجية المرتفعة الضغط، هم يشبهون آلات حربية مدفوعة بالأدرينالين.

لم يرني كايل. كان بصدد ربط مخه بواجهة الواشوسكي وهو ينقل البيانات والتعليمات إليه. وجهه كان خاليا من كل تعبير كما لو أن قربه من تحقيق هدفه أفرغه من كل انفعال. لم أقدر على تبين عينيه.

أقلع الصقر أما أنا فقد بقيت على متن إيشر. شغل واشوسكي التروس التكيفية فتحول جلده الكربوني إلى مجرد ظل على خلفية الكويكبات. ركزت المنظار على التنتال وظللت أنتظر. مرت ساعة كانت هي الأطول في حياتي.

أصبح الصقر بغتة واضحا. غادر المحطة. ضاعف من سرعته وهو يتجه نحو الإيشر. خلال ثمانية دقائق، سيكون هنا. لأول مرة، أتوجس حقا خيفة من أن يحدث أمر ما وخيم العواقب. انتابتني الشكوك. اجتاحتني رغبة قاتلة في شرخ صمت جهاز الاتصال الذي اتفقنا عليه، لكنني كنت على يقين من أن واشوسكي لن يقبل ذلك

Twitter: @ketab_n

الاتصال، سواء نجحت المهمة أو فشلت، بما أنه لم يوضع مسبقا ضمن خطتنا. تسلحت بالصبر وعزمت على الانتظار.

قبل ثلاث دقائق من وصوله، شغلت المحركات الدافعة وفتحت أبواب المستودع المستعدة لمناورة فرارنا. كمبيوتر الرحلة كان يقيس حركة الرحلة الصغرى حتى بوابة القفز الأقرب في GI-845 عندما أخبرتني أجهزة المراقبة بأن مركبة أحادية المقعد غادرت لتوها التنتال.

اللعنة! ليس بحوزتي أي سلاح مدفعية أدافع به عن نفسي.

على طول الجسر، بدأت شبكة الاتصالات في الزعيق وعقبته ذبذبات سريعة متقطعة في شفرة عسكرية غامضة. حاولت تجاهل الإنذار الذي يرجح أنه من المحطة، بيد أن الكمبيوتر فك الشفرة وبثها عبر مكبر الصوت. الإنذار لم يكن يشكل تهديدا واردا من التانتال لكنه تحذير أطلقه الصوت الأجش واللاهث لأحد المرتزقة المستنسخين في واشوسكي.

أدركت حينها حجم الكارثة. لقد ماتوا. مات الجميع. أذكر أن المرتزق صاح: «لقد غدر بنا ذلك الولد!» استغرقت بضع ثوان ثمينة كي أدرك أنه يتحدث عن كايل. تجمدت. إذا لم يجب واشوسكي، فإن ذلك يعني أن كايل استطاع أن يفصله. تذكرت كايل الذي كان يتصل بالصقر. «واشوسكي ذهب أيضا!» قلت لنفسي.

أضواء لوحة البيانات تخبرني بأنهما رسوا في المستودع. كايل هو أول من غادر. في إثره، ظهر مخلوق شبيه بالحشرة، ذو رأس

Twitter: @ketab_n

عصي على الوصف، يبدو وكأنه قد فر من رحلة حلم مرضي لناحت ماهر للكوابيس. كان حشرة سداسية القوائم المدرعة. جسده عبارة عن قشرة مجزأة تتكون من أجنحة غمدية سوداء غريبة الشكل، تتدفق إلى الأمام وكأنها رأس عضوي.

شغلت أجهزة التحكم الأول الدافعة للقفز نحو البوابة الكبرى الأكثر قربا مني وغادرت الجسر باحثا عن سلاح. بينما كنت أتسرب بين الممرات، باح لي عشيقي بالحقيقة عبر مكبرات الصوت.

لقد كان كايل كاذبا منذ البداية. هو لم يكن إطلاقا اختصاصيا في علم الأحياء الفضائي العسكري ولا في علم الوراثة. لم يكن مرتزقا مأجورا، أو حتى في خدمة عصبة قراصنة أو شركة ما. كان أسوأ من ذلك بكثير. كايل لم يكن إنسانا. هو في كل الأحوال لم يكن كما حكى لي. لقد أجرى الجنادب تجارب بمواد جينية بشرية لأنها كانت من طبيعتها أو لكونها في حالة حرب معها. استنسخت كائنات معدلة جينيا عن الإنسان، مخلوقات مهجنة خاضعة ومطيعة للبروتوكولات الفيرومونية[1] لعش الجنادب.

---

(١) الفيرومونات: المواد الكيميائية المنبعثة من معظم الحيوانات وبعض النباتات، تقوم بدور الرسول بين الأفراد من نفس النوع فتنقل المعلومات التي تلعب دورا هاما في الانجذاب الجنسي بين الأجساد. نشطة للغاية، هي تعمل بكميات متناهية في الصغر إلى درجة أنه يمكن اكتشافها، أو حتى تنقلها، عدة كيلومترات. بالنسبة للثدييات والزواحف، الفيرومونات تكتشف داخل الأنف بينما تستعمل الحشرات هوائياتها بصفة عامة... الفيرومونات هي مواد كيميائية مماثلة للهورمونات بيد أن الهورمونات التقليدية (مثل الأنسولين والأدرينالين وما إلى ذلك) يتم إفرازها بواسطة الغدد الصماء وهي تسير فقط داخل الجسم مشاركة في تمثيله الغذائي في حين أن الفيرومونات تفرزها عادة الغدد ذات=

Twitter: @ketab_n

عشيقي كان واحدا من أولئك المستنسخين، عبدا خالصا من سلالة قديمة لعشيرته، عنصرا معدلا جينيا من مجموعة الجنادب الأسيرة، التي كانت قد نجحت، ظاهريا، في الفرار من التنتال والتي ظلت منذ ذلك الحين تناور ملء يأسها من أجل تحرير حاكمتها.

بعيدا عن الوظائف القاعدية النابعة من إرادة كايل الذاتية، كانت الإمبراطورة هي التي تستبدل الدائرات الحوفية (الجانبية) لذلك الهجين الفضائي الذي سممني باللذة.

كنت عرضة لخديعة كبرى وجراء خطئي، قضي على شينغ وأنطونيو ونيكو وواشوسكي، بيد أنني لن أتركه يصل إلى مبتغاه. نزلت إليه إلى الأسفل في أروقة السفينة بينما كان يبحث عني وأفرغت في صدره كل العبوة التي كان يحويها سلاحي. لم أتوقف كي لا أرى الأزرق الزجاجي الذي تمور به عيناه: الكائن المرعب جاء وراءه كي يقطع علي طريق الوصول إلى سطح المركبة.

فررت جزعة. ثم وجدت نفسي مطاردة مثل حيوان هلع في

=الإفراز الخارجي أو هي تفرز مع البول وتكون بمثابة الرسل الكيميائية بين الأفراد. هي يمكن أن تكون متبخرة (تدرك بواسطة حاسة الشم)، كما يمكنها التأثير عن طريق الاتصال (مكونات غشائية عند الحشرات على سبيل المثال، تدركها أجهزة استقبال/ لاقطات حاسة الذوق). هي تؤدي دورا حيويا في أوقات التزاوج، عند بعض الحشرات المجتمعية مثل النحل أو النمل. هذه الفيرومونات ضرورية لجودة آداء المجموعة. الظواهر الجنسية عند الحشرات تسهم في العزل الإنجابي بين مختلف الأنواع بواسطة خاصياتها النوعية. علاوة على ذلك، ظل في الحسبان لمدة طويلة أن الأنف النشط جدا بالنسبة للحيوانات، لا يؤدي وظيفته بالنسبة للبشر، بيد أن عدة دراسات أثبتت العكس. خبراء الكيمياء الحيوية يمكنهم من هنا فصاعدا إنتاج فيرومونات اصطناعية.

Twitter: @ketab_n

مواسير التبريد للسفينة، مفكرة في كايل مرة أخرى، متذكرة وعوده المختلقة بالأبدية وكذبه المنمق لما كانت عليه حياته. يمكن اختزال كايل فيما يلي: هو آلية كيميائية حيوية، وهو تركيبة ذات مواصفات بشرية مبرمجة لخلق ردود فعل ارتجاعية أو قابلة للنقل.

ومع ذلك، لن يكون الخلود من نصيب كايل.

كان الجندب صامتا وبدا لي أن رعبي قد تبخر. لعل تدفق الفيرومونات انتهى بالانتصار على جسدي. لم أكن لأقدر على تبينه في الظلام. ومع ذلك، فإنني كنت أحسه دائما قريبا، في الانتظار. هو شبح متجلد لكن الزمن ينفذ بسرعة.

عبر الإيشر البوابة وهو الآن جانح في الفراغ.

الإمبراطورة وأنا وجدنا أنفسنا في مواجهة نفس المعضلة: هي تحتاج إلى الالتحاق برفقائها لكنها ليست قادرة على تشغيل أجهزة تحكم المركبة كما ينبغي. أما أنا فلا أقدر على العيش محبوسة إلى الأبد. ولذا وجب علينا اتخاذ قرار. إن عاجلا أو آجلا، نحن ملزمتان، كلانا، بمواجهة شياطيننا الخاصة بنا.

للعودة إلى دياري، ينبغي علي التصدي لوحش مجنح يترصدني في الظلام. يجب علي الاصطدام بالكابوس، والفرار من هذا السجن، إلى الأبد. من يدري.

انتصبت واقفة في صمت. أخذت نفسا طويلا كما لو أنني على وشك الغوص في بحيرة عميقة ومتجمدة. عدلت أجهزة الرؤية على أقصى تركيز ممكن وبدأت السير نحو المجهول.

Twitter: @ketab_n

الــرد

كلوديا كورتاليزي/ Claudia Cortalezzi: ولدت بترانك لونك/ Trenque Launque ببيونس أيرس بالأرجنتين سنة ١٩٦٥. تنتمي إلى حلقة كتاب الرعب والخيال/ La abadia de Carfax وقد نشرت نصوصها في أنطولوجيتيها في دورتيها الأولى والثانية. نشرت نصوصها في دوريات عديدة وفي أنطولوجيات أخرى. نال أحد مؤلفاتها جائزة سنة ٢٠٠٧. كتبت كلوديا كورتاليزي في أنماط أدبية متعددة منها الواقعية والغرائبية والمسرحية إلا أنها تظل مخلصة أكثر لكتابة قصص الرعب.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

لقد مضى على لوني أكثر من ساعتين وهي تصارع الشريط المطاطي والشريط اللاصق الصالح للتغليف كي تلزقهما ببعضهما. أخيرا، تأكدت من أنه ينقصها فقط قطعة صغيرة لسد ثقوب نافذة غرفة المعيشة.

بينما كانت لوني تتخلص مما علق بيديها من غراء، أسرت لنفسها بأن البابين، الأول الذي يفتح على الشارع والثاني الذي يفتح على غرفة الحمام، صارا الآن من المستحيل اختراقهما.

تذكرت سيرينا بنظرتها القلقة. قالت لها بكلمات متقطعة ومرتبكة كما لو أن التنفس يكلفها كثيرا:

ـ إن الأمر مهم جدا... اسمعيني لوني، من المهم جدا جدا أن تحافظي على إغلاق الغرفة... إغلاقها بفائق العناية. هل فهمت؟

مددت لوني آخر شريط لاصق وضمته إلى المطاط الذي ستلبد به الشقوق ثم ألصقت الكل على الإطار. أحكمت سد كل محيط النافذة ثم ارتدت قليلا إلى الوراء وجعلت تتمعن فيما أنجزته. تأكدت من أن كل الثقوب والمنافذ أضحت مغطاة على الوجه الأكمل بإتقان فائق ودقة كبيرة فأعجبت بعملها.

Twitter: @ketab_n

أشعلت لوني المصباح الموجود أعلى المقعد وانغمست في مواصلة المرحلة الموالية. التقطت جهاز التسجيل وزجاجة ماء كانا على السجاد. عندما قامت ورفعت رأسها، لمحت حقيبة يدها فوق الطاولة. بدا لها أن الحقيبة صارت أضخم. ترى هل أصابها الدوار وهي تقوم؟

اقتربت وفتحت الحقيبة. لم تجرؤ على وضع يدها داخلها. تلمستها من الخارج.

ـ أجل، العلبة الصغيرة ما زالت بداخلها.

أغلقت عينيها ودست يدها بحثا عن شريط التسجيل الذي أعطتها إياه سيرينا بحركة غريبة يكتنفها الغموض. كان ثمة أيضا شيء آخر. مظروف يظهر على قفاه هذا التحذير: ستعرفين كل شيء عندما يحين الأوان. حين تأتي اللحظة المناسبة، افتحي هذا الظرف واقرئي بصوت عال ما تضمنته الورقة. اقرئيه مرة واحدة. من المهم جدا القراءة لمرة واحدة يجب أن لا تكرريها أبدا.

ـ يا للأحجية! أسرت لوني لنفسها.

لو كانت تلك الساحرة أخبرتني بما يحويه الشريط لكان الأمر بسيطا.

ـ هل هو شريط موسيقي؟ سألت لوني سيرينا لكن هذه الأخيرة تصر دائما على أن تكون غريبة الأطوار.

ـ اسمعيه عندما يصير كل شيء جاهزا. وأضافت، ليس قبل ذلك.

Twitter: @ketab_n

ها هي لوني الجالسة على السجاد في غرفة لا يمكن لأي شيء اختراقها على وشك الضغط بسبابتها على زر التسجيل. لاحظت أن يدها فقدت ثبات نبضها الذي كانت تتباهى به دائما وخاصة في اللحظات الصعبة. «يبدو أن ذلك ناجم عن الإرهاق.» خمنت والشك يملؤها.

قبل أن تضغط على زر التسجيل، تحققت مرة أخرى من تطبيقها لكل المراحل. تأكدت من أنها لم تهمل أيا منها. شغلت الجهاز ثم تمددت على السجاد وأغلقت عينيها.

«ولكن، لا شيء يمكن سماعه!» قالت لوني. ثم تفطنت إلى أن موسيقى شديدة العذوبة شرعت في اختراق الفضاء. كخلفية لهذه الموسيقى، لا يمكن إغفال وجود زقزقة عصافير. هيئ للوني أنها تعرف اللحن حين انبجس صوت حاد، تبعه آخر فآخر أضحى نشيجا... خمنت لوني أنه لـ ـ قطة في فترة تهيج ـ مما جعلها تفقد التركيز. يجب أن تعرف إذا كان الأمر يتعلق بقطة أو... بيد أن البكاء تحول إلى نوبة غضب.

لم يعد ثمة أي شك من شأنه أن يخالج لوني. كان طفلا. لكن هل الصوت صادر من المسجل أم أنه قادم من منزل الجيران؟ هل تمت إضافته إلى المادة المسجلة في الشريط؟ إذا كان الأمر كذلك فإن هناك معنى ما لما يحدث. أو لعل سيرينا لم تتحقق من التسجيل. في كل الأحوال، لوني أصبحت أكثر قلقا بسبب صرخات الطفل.

Twitter: @ketab_n

حاولت جاهدة أن لا تسمعها. ركزت تفكيرها على الموسيقى التي صارت في ذلك الحين أوضح قليلا والتي مازالت تبدو لها مألوفة.

سيرينا... مرة أخرى تداهمها صورة سيرينا.

«سوف تدركين الأمر. قالت لها. أنت بنفسك ستحسين باللحظة التي سينكشف فيها كل شيء. لا تدعي شيئا يمر.»

كان ذلك هو كل ما خطته على قفا الظرف.

الظرف... لم تنتبه لوني إلى أن الظرف ما زال بيدها.

أخذت نفسا عميقا وهي تحاول التخلص من التفكير في نوبة بكاء الطفل الغاضب التي تزداد حدة.

قالت لنفسها إن الوقت قد حان. فتحت الظرف وقرأت بصوت عال:

ـ «أنا بصدد انتظارك.»

أنا بصدد انتظارك؟ هل هذا كل شيء؟

قامت وقد خاب رجاؤها. ترى هل ستتلقى إجابة ما على تساؤلها؟

لا شيء.

جلست متربعة الساقين ووضعت يديها المتشابكتين تحت ركبتيها. تنفست الهواء مرة أخرى بعمق ثم زفرته دفعة واحدة.

ـ لماذا لم تأت؟ قالت بصوت منخفض ولبعض الوقت، بدا لها

Twitter: @ketab_n

أن صوتها ينبجس من الجدران مرتفعا ومرفرفا على شكل حزم ضوئية تتقدم وتتقدم مدفوعة بالصدى الخارج منها. كل ذلك كان غريبا فعلا.

والأغرب من ذلك هو تلك الجملة الغبية:

ـ «أنا بصدد انتظارك.»

مرة واحدة... أنذرتها سيرينا... ينبغي أن لا تقرئيها غير مرة واحدة. وقالت بصوت مغال في إنذاره:

«من المهم جدا القراءة لمرة واحدة يجب أن لا تكرريها أبدا.»

على الظرف، ظهرت نفس الجملة:

من المهم جدا القراءة لمرة واحدة يجب أن لا تكرريها أبدا.

أحست لوني بألم في صدرها. هي لا تستطيع الاستمرار في الانتظار. حتى متى ستظل كذلك؟ كم عدد الأشهر التي مرت وهي تترقب اللحظة الحقيقية التي جعلتها تعيش الكثير من الأوهام؟ هي لا تبغي أن تمر الأشياء وكأن شيئا لم يكن... هي لا تريد ولا تستطيع أن تجعلها تمر هكذا.

شعرت لوني من جديد بأصداء أخرى لصرخات الطفل وبالصوت المرتفع لتلك الموسيقى التي صارت لا تحتمل. لعل الضوضاء تراكمت عندما قالت تلك الجملة، فحولتها إلى ضجيج هي الأخرى ولم يتمكن أحد من الاستماع إليها.

«أنا بصدد انتظارك.»

Twitter: @ketab_n

لا أحد تمكن من سماع الكلمات.

هي كلمات بسيطة، ماذا سيحدث لو قالتها من جديد؟

لا شيء.

«أنا بصدد انتظارك.» صاحت بكل قوة كما لو أن تلك الكلمات كانت تحرق روحها.

سدت أذنيها... ماذا فعلت؟ هل جنت؟

ربما كان من الأفضل لو أنها ماتت.

ضغطت بكل قوتها إلى أن آلمتها أصابعها وأذناها.

حتى وهي تفعل ذلك فإنها تعتقد أنها تسمع شيئا ما.

ـ لا! قالت لنفسها، هذا مستحيل.

ظلت تنتظر.

انتظرت دقائق... انتظرت ساعات... اختل الزمن في رأسها.

رفعت عينيها، قلقة ومتهيئة لكل ما قد يطرأ.

لا شيء. قالت لنفسها مخففة من حدة اضطرابها.

وعندما همت بالقيام، أحست بحركة. طيف ما!

أدارت رأسها. ما من أحد آخر غيرها في الغرفة.

ارتكزت بكل ثقلها على ذراعها فوق السجاد. قامت. كل عضو في جسدها يؤلمها. سارت ببطء وهي تستند على حافة المقعد. نظرت إلى الأثاث المصنوع من خشب البلوط الذي اشترته قبل عام هي ووالتر من معرض تجار التحف القديمة. هنا توجد صورة والتر.

Twitter: @ketab_n

ـ كم أنا مشتاقة إليك! قالت. أنا وحيدة جدا يا حبيبي!

أخذت الصورة وألقت بنفسها على المقعد وهي تحتضنها وتمطرها بقبلها.

ـ معك، أحسني دائما على نحو أفضل. قالت. لم أعد البتة خائفة.

بدأ الإرهاق ينال منها.

انتفضت فجأة عند سماعها لرنين جرس الباب.

فتحت عينيها. كان الجو غارقا في العتمة.

لقد أضاءت المصباح قبل بضع دقائق. هي لا تتذكر أنها أطفأته. مدت ذراعها محاولة الوصول إلى القاطع الكهربائي بيد أنها لم تتمكن من ذلك.

رن الجرس من جديد.

ـ من؟

ـ أنا جان. هل أنت بخير سيدتي؟

ـ جان؟ البواب؟

ـ أجل، جان.

ـ ماذا تبغي يا جان؟

هل حدث شيء؟ هل تدرين؟ لقد سمعنا صراخا.

ـ كل شيء على ما يرام. قالت لوني وهي تحاول أن يبدو صوتها طبيعيا إلى أقصى ما يمكن.

Twitter: @ketab_n

ثم قالت بصوت خافت كأنها تهمس لنفسها:

ـ دعني في سلام!

سمعت خطوات البواب المبتعدة.

أحست بجفاف في حلقها كما لو أنها كانت تصرخ.

لا شك أنها كانت تصرخ أثناء نومها.

أجل، قالت لنفسها، مما لفت انتباه الرجل الذي كان مارا بالصدفة بالقرب من باب مسكنها.

صار قلبها يخفق بقوة تشبه قرع طبول لا تنفك تقترب.

تركت صورة والتر على الأرض وجرجرت جسدها نحو المقعد إلى أن وصلت إلى المصباح. ضغطت على القاطع. لا شيء. ما من ضوء ينير الغرفة الغارقة في الظلام. قامت لوني حركت المصباح وعدلت اتجاهه الذي وجدته متغيرا.

الآن، صار بإمكانها رؤية كل ما يحيط بها وتمييزه.

أحست بسخافتها وهي تلمح الأبواب والنوافذ المسدودة بالأشرطة اللاصقة.

تمددت على الأريكة وظلت هناك راشقة نظرها في السقف متذكرة كل ما حدث منذ بداياته.

قبل بضعة أشهر، كانت جالسة على نفس تلك الأريكة. كانت أسعد امرأة في الكون. كانت تنتظر بفارغ الصبر موعد عودة والتر كي تحتفل معه بنتيجة تحليل اختبار الحمل. لكن ما إن تذكرت كل ذلك حتى التهبت عيناها ولم تقدر على تجنب انهمار دموعها الحارقة.

Twitter: @ketab_n

كانا زوجين مثاليين. يا لسعادتها بذاك الحمل! العشاء عند تومو كان أجمل هدية لمثل تلك المناسبة السعيدة.

ابتسمت لوني. كانت ابتسامتها حزينة وهي تستحضر مشاعر السعادة التي غمرت والتر. لم تكد تمر بضعة أشهر، وعندما قررا إعلان الخبر المبهج إلى أبويهما آناء عودتهما من فينادو تيورتو، حدث ما حدث.

من جديد، تستعرض كل ما جرى في تلك الليلة. الأصابع المتجهة نحو بطنها تخنقها وهمسات الحاضرين فيما بينهم: هذا الطفل المسكين سيولد...

لكن الطفل لم يكن إطلاقا يشبه أباه.

زارت لوني سيرينا... زارتها على الفور... هي لا تتذكر كيف وجدت اسم وعنوان تلك الساحرة. بل لعل هذه الأخيرة هي التي سعت إليها باحثة عنها بنفسها.

ـ في البدء، قالت لها سيرينا، وكمرحلة أولى، يجب أن توفري رحما للكراء. في الحقيقة، يلزمك أكثر من رحم وبهذه الطريقة تتضاعف فرصة النجاح. عودي إلى هنا عندما يحل الموعد. ينبغي أن تجلبي لي معك شيئا آخر. لا شك أنك تعرفين معنى كلمة الحمض النووي/ ADN. أنت سمعت عنه، أليس كذلك؟

لوني كانت يائسة إلى درجة الجنون لذلك يمكن اعتبار حالتها النفسية تلك مبررا لما ستقوم به. تسربت إلى غرفة حماتها بينما كانت نائمة. سرقت ظرفا صغيرا به خصلة من شعر والتر ظلت الأم محتفظة بها مذ كان طفلا. سلمت الغنيمة للساحرة فور حصولها عليها.

Twitter: @ketab_n

لا تدري لوني كم مر عليها من الزمن وهي حامل. فكرت في جسد والتر المتحلل تماما والذي أضحى غذاء للديدان. أحست بالغثيان. حاولت التقاط الكأس كي تشرب لكنها لم تقدر. القيء يلطخ السجاد وجهاز التسجيل.

تكدرت رؤيتها. اختلط القيء بالماء المسكوب على السجاد ثم تحولا إلى ديدان ضخمة بيضاء تتلوى. مجموعتان من الديدان توجد كل واحدة منهما على طرف السجاد أما وسطه فقد كان نظيفا لا تشوبه شائبة.

أرادت مغادرة المكان لكنها لم تقدر على منع نفسها من متابعة ما يحدث. بذلت مجهودا كبيرا كي تحرك جسدها الذي صار الآن ثقيلا للغاية. الاضطراب يملؤها وجسدها يرتجف كما لو أنها انتهت للتو من قطع أميال طويلة عدوا دون توقف. وصلت إلى باب الخروج. مدت ذراعها كي تفك الشريط. أغلقت عينيها وركزت في تنفسها. تنفست ثم زفرت بأقصى ما تستطيعه من هدوء. إذا لم تعد إثر ذلك إلى حالتها الطبيعية، فإنها لن تقدر على فعل أي شيء آخر ينقذها مما هي فيه. لم تنجح في استعادة صفائها وهدوئها. بدا لها أن الديدان الضخمة قد تركت السجادة واتجهت نحوها. نظرت من جديد إلى الشريط اللاصق.

ـ كان علي أن لا أنجز هذا العمل بكل هذا الإتقان. قالت لنفسها.

اضطربت رؤيتها أكثر لكنها واصلت كشط الشريط بظفرها إلى أن

Twitter: @ketab_n

وجدت طرفه. عندما انفك بما يكفي كي تمسكه بين السبابة والإبهام، سمعت صوت سيرينا.

ـ لا تفعلي ذلك، صرخت فيها تلك المرأة الرهيبة، لا تفعلي ذلك

أحست لوني بأنه سيغمى عليها. أكثر شيء لا ترغب فيه الآن هو العودة إلى السجاد ورؤية ما يحدث. لكن صوت سيرينا.. ترى من أين يأتي ذاك الصوت؟

سدت أذنيها حتى، لأنها لم تعد ترغب في سماع أي شيء.

كانت سيرينا ترفع صوتها في كل مرة أكثر.

تذكرت أنها لم توقف شريط التسجيل، لا شك أن صوت تلك الساحرة صادر منه. تنفست الصعداء في تلك اللحظة.

حاولت الابتعاد قدر ما تستطيع. كانت على استعداد لتقديم أي شيء مقابل أن تغمض عينيها لكن صوت الساحرة كان يضطرها إلى جر قدميها، خطوة خطوة... كان يرغمها على جر قدميها كي ترى... صارت كما لو أن أحدهم قد وضع أمامها عدسة عملاقة: كل التفاصيل في منزلها صارت مبالغا فيها.

كلمات سيرينا هي التي تقودها: مثل المنومة تماما، كانت تسير إلى السجاد البغيض الذي يثير اشمئزازها. البخار اللاذع يحرق أنفها. ظلت لوني ثابتة في مكانها. الهواء المتعفن المقرف يجعلها تحس بأنها بصدد التفسخ...

Twitter: @ketab_n

ـ يا عزيزتي، قال لها الصوت بتودد هذه المرة، أجيبيني من فضلك، بماذا يتغذى الرضع. نحن بحاجة لكي توضحي لنا ذلك.

ـ لا ينبغي أن أتصور أية إجابة حتى، همست لوني محدثة نفسها، هي لن تقدر على أن تفعل لي أي شيء إن أنا لم أجبها.

ـ بماذا يتغذى الأطفال؟ زمجرت سيرينا.

ـ من الأم. أجابت لوني التي هوت على الأرض وقد اختنقت أنفاسها. الضباب الذي صار أكثر كثافة يصهد عيونها وأنفها ويجعل فمها جافا.

سمعت همسا خافتا. إنه صوت سيرينا الذي لا يمكن أن تخطئه والذي يأتي من بعيد الآن:

ـ اقتربي يا عزيزتي.

لوني لا تدري ماذا يجب عليها أن تفعل. ها هي تجرجر نفسها وهي تحاول قدر جهدها على الحفاظ على رأسها مرفوعا عاليا خارج كتلة الضباب. بيد أن هذا الأخير كان يغمر كل شيء.

ـ اقتربي يا عزيزتي... هيا... رائع أيتها المرأة الطيبة! هل رأيت صغيرك؟

لوني تحاول بكل ما أوتيت من جهد إبعاد نظرها عن السجاد لكنها لا تقدر على ذلك... الديدان تتحول إلى هيأة غريبة شبيهة برخويات لحيمة. سلمت نفسها للتأمل: قدرت أنها كانت على خطأ: الديدان صارت كائنين بشريين... كائنين صغيرين جدا... الآن صارا رضيعا مشطورا إلى نصفين: نصف على اليمين والآخر على

Twitter: @ketab_n

الشمال. الجرح المتقيح ينز سائلا متقلبا في هياج لا يلبث أن يتلاشى متحولا إلى بخار. الصغير يمد يديه الضئيلتين نحوها.

ـ أعطيه حليبك يا عزيزتي... طفلك يجب أن يتغذى.

تراقب لوني ما يحدث... تنقل بصرها بين النصفين.

ـ غذه أيتها الأم الصغيرة... هيا... أجل هكذا...

ـ يكفيييييييييييي! تصرخ لوني وهي تقترب من المسخ.

أخذت أحد النصفين وقربته من النصف الآخر.

ثدياها يؤلمانها. يجب أن تضم النصفين إلى بعضهما. هي بحاجة إلى أن تراهما متشكلين في كائن واحد... بيد أنهما يتحولان إلى سائل لزج.

السائل اللزج ينساب بين أصابع لوني المرتجفة الآن.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

المهرج الخزفي

لويس سافيدرا فارغاس /Luis Saavedra Vargas: مهندس كمبيوتر ولد سنة في ١٩٧١ في بوينتي ألتو، بسانتياغو في الشيلي. نشر نصوصه في دوريات عديدة كما أنه كان ضمن القائمة النهائية لجائزة «دومنغو سانتوس/ Domingo Santos» التي تنظم في إسبانيا.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

جاء دوري؟ هكذا بسرعة؟ ولكن، إن كنت لا أريد قول أي شيء؟ أنا فقط كنت أنتظر، وإحقاقا للحق، أنا كنت غافيا. هذا لا يعني إطلاقا أن قصصكم كانت مملة، لا تقولوني ما لم أقل. بيد أنني تناولت العديد من الأدوية مما جعل جفوني تزن نصف طن. . . قصة كارلوس؟ آه، نعم، كانت جيدة. أعتقد أن لنا جميعا قصة نحتاج لسردها، ولكن قصتي ليست مهمة مثلما هو الحال بالنسبة لقصة كارلوس أو مأساوية كما هو شأن قصة غوستافو. قصتي، ببساطة، غريبة وحسب.

* * *

حدث لي ذلك منذ فترة طويلة إلى درجة أنني صرت أكابد فعل تذكر الحكاية. في الواقع، أنا لا أعرف، حتى، ما إذا كان ذلك فعلا قد حدث. في تلك الفترة، كنت صحفيا شابا، حديث التخرج وكانت رغبتي في الحصول على وظيفة في صحيفة محلية بائسة عارمة. كان عمري حينها يربو قليلا على الثلاث والعشرين سنة وكنت أحسني طموحا وكفءا. بيد أن الحقيقة كانت مختلفة تماما عما كنت أراه من خلال عدستي نظاراتي. في بلدة صغيرة مثل تلك التي قضيت

Twitter: @ketab_n

فيها سني شبابي، ليس ثمة الكثير من الأحداث القابلة للحكي ما خلا الأخبار المعتادة للولادات والوفيات والمشاحنات وتصفية الحسابات مثل تلك التي حدثت بين فيلا والرقيب ميندوزا، في عام ١٩٦٢، رغم أنه ما من أحد يتذكرها في أيامنا هذه.

ولكن حدث أن حط سيرك رحاله ذات يوم بالمدينة. هو يبدو كبيرا نسبيا، في حين أن كل سيرك بالنسبة لي، هو بالضرورة بائس. عندما دخل المدينة، كان الخريف يصبغ الأشجار بذينك اللونين اللذين كانا موضة في أيامنا تلك، الأخضر المصفر والبني. في مقر الصحيفة، كنا جميعا نشاهد القافلة وهي تمر، احتشدنا عند النوافذ والأبواب في حين كانت الصحافة لا تشتغل على غير الفراغ. أعتقد أن أي عرض أو مشهد في هذه المدينة، وحتى ذلك الأكثر إثارة للشفقة منهما، يهيج مشاعر الجميع. رؤية الشاحنات وعربة المهرجين وحدها كافية كي تزرع الضحك وتولد الرغبة في الاحتفال. في تلك اللحظة، وبينما كنت أرى المرأة ذات اللحية والأسود المتضورة جوعا تمر راودتني فكرة أنه من المهم فعلا الذهاب لإلقاء نظرة على السرك.

فكرت في مشاهدة العرض دون مقابل متذرعا في ذلك بوظيفتي. سيكون تحقيقا صحفيا شعبيا بمكافأة جيدة وسيكون أصحاب السيرك أنفسهم ممتنين لما سأقوم به من إشهار دون الاضطرار إلى دفع بيزو واحد. حتى أنه، في ذلك المساء نفسه، توصلت إلى جعل رئيس تحرير الجريدة يمضي على طلبي موافقا قبل أن يستحوذ على فكرتي

Twitter: @ketab_n

ذلك الأحمق غلدامس الذي لا يتوانى عن سرقة أجمل ما يتصوره الآخرون. حتى تصدقوني، كان ينبغي أن تكونوا حاضرين كي تروا وجهه محتقنا عندما عرف بالأمر. على أي حال، ذاك البائس المتخلف الذي تدعو حالته إلى الرثاء يستحق كل ما يحيق به لأنه سرق مني مادة كنت قد أنجزتها عن طواف موكب العذراء في يناير من نفس السنة.

جريت نحو مسكني وارتديت أفضل بدلة عندي لهذه المناسبة. أخذت دفتر مذكراتي ومترعا بالفرح، طفقت أركض كي أكون بالسيرك على الساعة الثامنة.

عندما وصلت إلى الأرض البور حيث أقيم السيرك، كانت ريح قوية تكاد تجتث قرون الثيران تهب ملء عنفوانها... هي واحدة من تلك الرياح التي تسقط فوق رأسك هكذا بغتة في لحظة لم تكن تنتظرها فيها إطلاقا. في الظلام، كانت الخيمة الكبيرة مضاءة من الداخل. أتذكر جيدا أنني تصورت أنها قرعة ضخمة رقعت على عجلة بقطع متناثرة من قرعات أخرى بيد أن مظهرها رغم ذلك يدعوك إلى دخولها. وبما أنها كانت المرة الأولى، فإن كل القرية كانت تحث الخطى نحو الخيمة بدءا من سكرتير رئيس البلدية إلى آخر علقة تعيش على حساب الرعية. كان الأطفال يتقافزون في كل مكان، منفلتين من قبضات الأمهات الحائرات وكان الأزواج يشترون غزل البنات وحلوى تفاح الحب. حييت صديقي الفران الضخم أورتيغا، والأب ويلكنسون البائس الذي يحيط به لفيف من الساحرات

Twitter: @ketab_n

العجائز اللاتي يرفضن تركه بسلام. بدا لي أيضا أنني لمحت بائع النبيذ وابنته الرائعة الجمال أندريا، التي أحببتها لمدة سنتين إلى أن ماتت جراء إصابتها بالالتهاب الرئوي. في الحقيقة، هم جميعا رحبوا بي ترحيبا حارا لأن للصحافة، منذ اختراعها، سلطة تجتذب دائما الحظوة من طرف كل المحيطين.

تمشيت إثر ذلك كما لو كنت أشتغل فعلا على مقالتي وحينها داهمتني فكرة كانت تراودني باستمرار أنا الذي أشبه عجوزا مهووسا. ما زلت أعتقد أن العرض الحقيقي للسيرك يدور قبل تقديمه على الملإ، وسط الحشد المسافر كرها وعلى إيقاع الموسيقى، في حلقات خلابة ذات مركز واحد مشترك حول أقفاص واجتذابات المعرض المتنقل، قبل أن يلتهمها الفم الضخم للخيمة الشبيه بفم الحوت، مع الصراخ والهمسات وكل الأضواء المتدفقة من جسم إلى آخر...

تركتني أنقاد إلى الداخل وأنا أتفحص تلك الفكرة الجديدة، وسط الحشد، عارضا عند مروري بطاقة التفويض الصحفية، الميزة من المزايا النادرة لمهنتي. تجولت في كل مكان، بين المدارج، وأنا أتوجس منذ البدء أن السهرة لن تكون في هذا المساء ساحرة ولا مثيرة كما كنت آمل. عندما نظرت إلى الأعلى، تبينت النجوم بين طيات القماش المرتوقة وعندما خفضت بصري، لمحت ثلاثة رجال شاحبي الوجوه مرتدين ثياب العمل وهم بصدد تنظيف الحلبة بمكانس منتوفة جرداء. أظن أنني نويت كتابة مقالة ساخرة حاسمة لا ترأف، وتبتدئ كما يلي: «مساء أمس، بدأ السيرك الأكثر بؤسا من أي سيرك آخر عرضه النهائي...»

Twitter: @ketab_n

بدأ العرض في وقت متأخر، بعد نصف ساعة من توقيته الذي سبق الإعلان عنه. وصل السيد كورالس الذي كان يرتدي طقما من النوع الرديء إلى الحلبة وقد علت وجهه ابتسامة متوترة. عندما حاول التكلم في الميكروفون، لم نسمع غير صرير وصفير لم ينتهيا إلا بعد أن تكرم أحدهم بتعديل الصوت. أعرب عن شكره للمتفرجين الذين حضروا الحفل الكبير لهذا السيرك. أظن أنني ضحكت إثر ذلك ثم توجهت بالكلام إلى الضخم أورتيغا معلقا على الثمن العالي للدخول إلى عرض بكل هذا البؤس. الذاكرة هشة جدا. . . لكني أتذكر جيدا أمرا ما: كنت مقتنعا بأن هذا الشكل من أشكال السخرية هو علامة للصحافي الجيد الكفء.

استغرق الأمر بعض الوقت قبل أن يغمرني شعور مميت بالضجر. تفرجنا على ساحر عديم المهارة كنا نلمح كل الأشياء التي كان يخفيها في كم قميصه ذي الألوان الفاقعة. رأينا أيضا دبا شرسا جفولا يحاول آداء رقصة الترنتيلة[1] وهو يؤرجح كشحه المليء بالقروح. كما شاهدنا أيضا عرضا لألعاب خفة ساذجة للغاية بالنسبة لذائقتي ومجموعة كلاب مدربة تقفز بحماس من خلال إطارات حديدية ممدودة أمامهم. قلبت نظري في الجالسين على المدارج بحثا عن حبيبة قلبي أندريا، إلى أن لمحتها بين ذراعي شابا فتيا على جمال باهر لا أقدر على منافسته فيها مما زاد من قتامة مزاجي وتعكره. وفي اللحظة التي قررت فيها المغادرة لزيارة ابنة عمي ساريتا بعد إحساسي

---

(١) الترنتيلة/ la tarentelle: رقصة شعبية إيطالية.

Twitter: @ketab_n

بفقداني الكلي لرغبتي في مواصلة السهرة، تم الإعلان عن عرض المهرجين. حسنا، قد يكون السيرك رديئا بشكل فاجع، وقد يكون مرقعا حتى النخاع وقد يعيش أصحابه على عطايا الناس بيد أنه لا يمكن أبدا أن يستغني عن المهرجين. وجدتني جالسا من جديد منتظرا انتشار الألوان الفاقعة والضحكات والحركات الهزلية على الحلبة.

الفرقة التي كانت تعزف بغير حذق بدأت لحنا سريعا، تلاه صراخ حاد للأطفال والفنانين. دخلت عربة مطلية بلون أزرق تناثرت عليه حبات بازلاء حمراء وصفراء وبيضاء. كانت تحمل بداخلها أشخاصا متلألئين يبدون غريبي الأطوار. جعلت تدور في حلقات حول الحلبة وهي ترتج وتهتز إلى أن انتهت بالانقلاب الذي بث الفرحة العارمة في كل الحضور بالخيمة وخاصة في نفسي التي كانت منذ قليل متكدرة بشكل يدعو للرثاء. بدا الجميع كمن فقدوا عقولهم لشدة بهجتهم وامتلائهم بالحيوية تماما مثل ما حدث في أول يوم حل به السيرك بالمدينة وكانت في نفس الوقت مجموعة من المهرجين الجدد تواصل دخولها إلى الحلبة لذا اخترت تناول هذا الجانب المهم من العرض في تغطيتي للحدث.

يبدو لي أن العرض كان فعلا مضحكا. يعني أنه تضمن كل ما هو مختل وغير متسق مما يفجر الضحك إلى حد القهقهة: جرعة جيدة من الاستهزاء والنكت يرافقهما سقوط المهرج على الأرض وتجهمه الساخط، كل ذلك إلى أن انتبهت إلى وجود طفل في

Twitter: @ketab_n

الحلبة. بدا لي ذلك غريبا لأنه لا يشارك مباشرة في العرض. كان واقفا بهدوء على حافة المشهد وهو عاقد يديه إلى الوراء مثل متفرج مميز. على نحو مفاجئ، شرع يعدو برعونة وراء المهرجين، مغيرا موقعه كإعلان عن بدء المشهد الفكاهي الموالي. موقف الممثلين كان هو الآخر غريبا أيضا: لم يكن يبدو عليهم أنهم يرونه. أحيانا يلحظه أحدهم فيمسك بيده ويعدو به حتى آخر الحلبة عندما يتنقل الآخرون إلى مكان آخر... كان طول الطفل لا يكاد يبلغ المتر الواحد. وكان يلبس زوجي حذاء وبزة مبرقشة مرصعة بالنجوم البيضاء. كان يضع على رأسه قبعة تشبه غطاء أصيص مقلوب تنبجس منه زهور كما لو أنها شعر تعلوه مروحة مضحكة تدور في كل الجهات كلما جرى. أثارت هيأته وحركاته فضولي فقررت أن يكون هذا موضوع مثاليا لمقالي الذي سيمنحه هذا الجانب الإنساني قيمة لا يستهان بها: «كيف تسير حياة السيرك بالنسبة لطفل يتيم؟» و«ماذا يمتعك أكثر؟ مشاهدة سلسلة لي بيارآفي[1] أو اللعب على الحلبة؟ «. التركيز على

---

(١) لي بيارافي / les Pierrafeu: هي سلسلة رسوم متحركة أمريكية في ١٦٦ حلقة مدة كل منها٢٥ دقيقة. ألفها ويليام حنا وجوزيف باربارا وتم بثها بين ٣٠ سبتمبر ١٩٦٠ و١ نيسان / أبريل ١٩٦٦ على الـ أي بي سي في وقت مبكر من المساء وقد عرفت نجاحا كبيرا مما جعلها تبث في العديد من القنوات التلفزيونية الأخرى.
كل الأحداث كانت تدور في العصر الحجري ببلدة تدعى بادروك («كايلوفيل/ Caillouville» في فرنسا و«سان غرانيت» في «كيبيك»)، ولكن السكان كانوا هم نفسهم سكان الولايات المتحدة الأمريكية في النصف الثاني من القرن العشرين. السلسلة نسخة خيالية لحياة ما قبل التاريخ حيث الديناصورات، والزواحف المجنحة والنمور ذات الأسنان السيوف والماموث الصوفي وغيرها من الحيوانات المنقرضة منذ زمن طويل=

Twitter: @ketab_n

المواضيع الممكنة التي تخص بني البشر في مقال ما هو سمة من سمات الصحافة الناجحة، أفترض ذلك.

استغللت فظاظة عرض مدربي الأسود كي أخرج لتنفس بعض الهواء النقي وإشعال سيجارة في الخارج. كان ينبغي علي ترتيب أفكاري إذا كنت مصرا فعلا على الخروج بمقالة بارعة. اقتربت من أول مسؤول اعترضني كي أشرح له أنني صحفي ـ معتمد ومدعوم ـ وأنني أود أن أقوم بتحقيق عن الحياة في السيرك وأنني مهتم بالصبي. روفقت من طرف مسؤول آخر أعلى رتبة إلى مقطورة جلست أمامها امرأة بصدد غسل الملابس في مغسل مصنوع على عجلة تحت ضوء خافت جدا لا يساعد كما ينبغي على رؤية بقع الأوساخ. غير بعيد كثيرا منها، يكتفي رجل عجوز بسيط بالنظر إلى ما يحدث وهو يرفع حاجبيه. كان ثمة دراجة مغطاة برسوم مطبوعة تستند على جدار المقطورة وهي لا تزال تحمل علامات أيامها الأفضل والأكثر بهجة.

أعدت نفس حكاية التحقيق الصحفي عن السرك على مسامع المرأة القصيرة والبدينة التي كانت ترمقني بنظراتها المتوجسة. بكل تينك القوة والشراسة اللتين تملآنها، كانت تبدو مثل قائد في أوج اختياله. منذ أول نظرة، حدست أنها ليست في سن الشباب لكنها

=والتي تتعايش مع رجال كهوف يستخدمون تكنولوجيا مماثلة لتلك التي يعيشها القرن العشرون. أبطال هذه الرسوم المتحركة يقودون السيارات المصنوعة من الحجر أو الخشب وجلود الحيوانات، والتي تعمل بالبنزين، على الرغم من أنها تحتاج إلى استخدام القدمين كي تبتدئ السير.

Twitter: @ketab_n

كانت تبدو خبيثة. وبسرعة برهنت على أنها فعلا كذلك! لقد طلبت مني خمسة آلاف بيزو مقابل دخولي، تلك الأتان الحمقاء.

لم أكن أرغب في طرح الأسئلة على هذه المرأة لأنني أردت الالتقاء بالطفل في حالته الأكثر نقاء، دون ماض أو حاضر من شأنهما أن يتداخلا في أول تواصل لي به. عندما صعدت إلى المقطورة، وجدتني ألج عالما مليئا بالتفاصيل الرائعة. المصباح المغلف بأباجورة زرقاء كان يصبغ الأشياء ببريق تحت مائي خانق. كان هناك حيثما وجهت البصر رسومات أطفال معلقة في كل مكان ومجلات ملونة مكدسة ومربوطة في رزم كما أنه كانت ثمة ملصقات لجولات قديمة للسيرك تزين بعض المساحات الشاغرة التي لم تكن الرسوم قد غطتها بعد. بالقرب من سرير صغير، توجد آلة كاتبة من نوع أندروود ملقاة على الأرض كما لو أنها هيكل عظمي لحيوان مات منذ أزل. كان هناك أيضا مطبخ صغير وعشرات من الزجاجات وعلب الصفيح والحقائب والأكياس والأواني. كانت الأرضية موشاة ببقع من الطلاء الأصفر والأحمر والأخضر والبرتقالي تماما مثل سيمفونية مجنونة لوالت ديزني. في الوسط، كان هناك قطعة أثاث تشبه المكتب، تعلوها مرآة ذات ثلاث حواف يتصدرها مصباح يتزين على ضوئه فنانو السيرك وذات محيط مرصع بالشظايا المعدنية وبصور قديمة لأطفال صغار بالأبيض والأسود. على سطح المرآة، انعكست صورة طفل كان يبتسم لي.

أعتقد أن ما مررت به في تلك اللحظات كان التجربة الأكثر

Twitter: @ketab_n

غموضا من أي تجربة أخرى قد أكون عشتها في وقت مضى. ذلك الجو وتلك الأحاسيس التي وجدتني مغمورا بها... بكل بساطة، أنا لم أكن أتوقع إطلاقا كل ذاك الذي يحدث.

من خلفي، سمعت المرأة تؤكد بأن لقائي لا يمكن أبدا أن يتجاوز العشر دقائق: الطفل يجب أن يذهب للنوم تحسبا للفرجة التي سيقدمها في الغد. عندما خرجت، أخذت دفتري وشرعت في الخربشة وأنا أتساءل عن طريقة للخروج من هذه الوضعية...

شعرت مرة أخرى بالغم والقلق اللذين ما أكثر ما راوغاني أمام المستجوبين الذين كانوا يقاومون كي ينتزعوا الكلمات من فمي أيام الامتحانات، عندما كنت صغيرا في السن. لم يعد موضوع التحقيق يبدو لي جيدا وقررت المغادرة خلسة دون أن يدرك الصبي ذلك. بيد أن هذا الأخير التفت إلي مرحبا عندما بلغت الباب. رددت عليه بشيء يشبه السلام دون أن أتأكد مما إذا كنت قد نطقت بعبارات التحية. وجهه كان لا يزال مغطى بالمساحيق البيضاء التي يتطلبها دوره.

«ماما ماريا تحبني كثيرا، قال. والجميع يحبونني كثيرا.»

في البداية، كانت روحي فارغة تماما. لم أكن أعرف من أين سأبدأ. الطفل ينظر إلي بشكل مكثف كما لو أنه كان ينتظر رد فعل من جانبي.

«ما اسمك؟ سألته في آخر الأمر.

ـ يقولون إنني أدعى خوانيتو، أجاب وهو يمد يديه ويباعد ما بين

Twitter: @ketab_n

أصابعه كما لو أن تلك الحركة تعني «خوانيتو». هذا الصباح رأيت الشمس، شمسي أنا. . . هكذا، انظر.

أشار إلى المصباح المعلق فوق المرآة. وبما أنني ما زلت لم أمسك بعد بأي معلومة ملموسة فإنني اتجهت إلى أساليب الاستجواب.

ـ أتدري؟ أنا صحافي. وهذا يعني أنني أكتب كي يتمكن الناس من معرفة الأخبار. وأنت تهمني كثيرا. سوف أطرح عليك بعض الأسئلة وأتحدث معك.

حدق في بعينيه الرماديتين الكبيرتين. ولذلك افترضت أن كل شيء على ما يرام.

ـ على سبيل المثال، واصلت، أود معرفة طريقة وصولك إلى هذا السيرك، ما إذا كانت عمة لك هي التي جلبتك أو أن أباك هو من فعل ذلك. . . هل أنت منذ وعيت كنت دائما مع أمك ماريا؟

ـ أنا جئت من الأعلى. الشمس هي التي جلبتني إلى هنا. جئت لأنني أريد ذلك. جميعنا كنا نريد ذلك. أسافر وأرى العديد من الأشياء وسأواصل السفر. أنا أتعلم بسرعة. اليوم، تعلمت الغناء.

ـ هكذا إذن؟ أجبته، دون إبداء اهتمام حقيقي.

عندما لا يكون لديك شيء هام، سحقا للعنة التي يرجحونها لك. يقول دائما ذاك المجنون روخاس، وهو على حق تماما. حتى أنني خضت من جديد في نفس الموضوع:

Twitter: @ketab_n

ـ هل هي الأم ماريا التي علمتك؟ أنا أعرف الكثير من الأغاني التي أسمعوني إياها عندما كنت صغيرا.

ـ نعم، هي أمي ماريا. وسوف تعلمني أغاني أخرى أكثر. هل تريد أن أغني لك ما علمتني إياه؟

ـ حسنا ولم لا؟

سيكون ذلك بداية لا بد منها، اعتقدت ساخرا. وشرع الصبي في دندنة أغنية مهد بصوت بلوري عذب. كان في بعض الأحيان، يضطر إلى التوقف لأنه يتعثر ولا يجد الكلمات فألفيني مضطرا لمساعدته وتذكيره ذاك أنني كنت أعرف كلمات الأغنية. لطالما غنتها لي عمتي أنطونيا عندما كنت في الثالثة من عمري. الأغنية المهدهدة الجميلة تروي قصة فرخ بط ضائع كان ينبغي عليه أن يتعلم أن لا يخاف كي يعود قرب أمه البطة. بينما كنت أغني، كان جزء من دماغي يهمس لي من بعيد أن عندي مقالا ينبغي علي إنجازه.

غنينا لبعض الوقت إلى أن وصلنا إلى اللازمة/ الترجيعة المشتملة على سلسلة من النوتات المنخفضة التي لم أنجح أبدا في آدائها، عندما كنت طفلا، لأن ذلك كان يسبب لي آلاما في الحنجرة. بيد أن الطفل كان يؤديها بطريقة جيدة جدا. حتى أن جميع الأشياء ـ بما في ذلك أنا ـ صارت تدندن بهدوء، كما لو أنها صدى لمراوحة عدد لا يحصى من الرجال الدائسين على الطرف الآخر من الجسر. كانت هذه أول مرة يشوك فيها زغب قفا رقبتي بتلك الطريقة وصمتت قبل

Twitter: @ketab_n

انتهاء الأغنية. تواصل الارتجاج في روحي، تاركا في أعماقي شعورا غريبا: صار بين يدي مادة جديدة لا يمكنني وصفها ولا استعمالها.

صفقت كما ينبغي في النهاية وأفرج عن ابتسامة صغيرة.

ـ هذا لطيف جدا. يبدو أن الماما ماريا تعرف العديد من الأغاني.

ـ أجل، وكذلك شأن كل الذين أقابلهم أيضا. هم يروونني وأنا أراهم أيضا وأرى أن ذلك جيد أو رديء... كل شخص لديه أغنية للعب معي.

توقف ثم علت سحنته مسحة من الحزن قبل أن يواصل:

ـ أنا أحفظ أغانيهم، كي ينسوني بعد ذلك.

ولأن كل هذا كان يبدو لي، شيئا ما، لا جدوى منه، قلبت وعاء طلاء وجلست عليه شارعا في بناء فرضية ضعيفة الاحتمال. اليوم، مع تقدمي في السن، توصلت إلى نتيجة مفادها أن الناس ذوو منطق غبي، حتى أنهم يفسرون الوضعيات بواسطة التماثلات أو التشابهات غير المنسجمة كما أنهم لا يفقهون كيفية التصرف عندما تكون الأمور أبسط من النماذج التي يتصورونها.

ـ الجميع هنا، يحبونك كثيرا. انت صبي ذكي جدا كما أنك طيب للغاية.

ـ أجل، أنا أحب أن أتكلم وأن أشعر بالناس، أكون بداخلهم عندما يتكلمون معي.

Twitter: @ketab_n

ـ ألا تجد أمك هذا الأمر غريبا؟

ـ لا، إطلاقا. أمي معي دائما في كل شيء.

ثم أشار بإصبعه إلى الباب الذي خرجت منه المرأة. وضحك كما لو أنه كان يمزح معي.

ـ ليست أمي التي هناك.

ضحكت بهدوء واسترخيت قليلا. ومع ذلك، لم أفهم الكثير عن لعبة الأحاجي التي اقترحها علي.

ـ لست متيقنا من أنني أشاركك وجهة نظرك.

وبعد كل هذا، هو ما زال صغيرا جدا، أسررت لنفسي. وبما أن المقابلة لم تفض إلى شيء، فذلك يعود لرغبتي في أن أطرح عليه كومة من الأسئلة.

أعتقد أن الطريقة التي يفكر بها مخ كل منا غريبة، ذاك أنه يذهب ملء ثقته في اتجاه ما ثم لا يتوانى عن السير في اتجاه آخر مخالف دون أن تصده أية حدود كما أنه في بعض الأحيان يلقي بأفكاره التي يراها الآخر سخيفة.

لا استطيع أن أتابع قصتي دون أن أحدد نقطة بعينها: أنا مفتتن بالخيال العلمي، وبحكايا أميرات كوكب المريخ والكواكب الأكثر غرابة من أسمائها. هن يبدون لي أكثر جاذبية ورومانسية من صباحات يوم السبت اللطيفة. ربما لأنهن يعدن بي إلى فترة قديمة كنت خلالها أقدر على اللعب بالكرة طوال المساء والرجوع إلى المنزل عندما يسدل الليل ستاره دون أن أشعر بالإرهاق. في تلك الفترة، كان

Twitter: @ketab_n

الجميع لا ينفكون عن الحديث عن ذاك الرجل الذي صعد إلى القمر وعن تلك الأشياء التي يضعونها كل شهر في الفلك.

أعترف بأن الفكرة التي راودتني كانت غبية، ولكن ليس ثمة من شيء يمكن أن أخسره.

ـ هل تعرف ما هي الرياضيات؟ هاجمته فجأة بكلماتي.

ـ كلا.

انكفأت عليه كما لو كنت سألقي عليه سؤالا سريا.

ـ هل تعرف ما هو الخيال العلمي؟

ـ لا، ما هو؟

ـ هل تعرف الأطباق الطائرة؟

أظن أنني انكفأت كثيرا على الطفل إلى درجة أنه تملكه الخوف. كان واقفا يحدجني بعينيه الجاحظتين بنظرات مشوبة بالقسوة. توقف عن الابتسام. لاشعوريا، كنت أتوقع ردة فعل متطرفة، كأن يدكني بمسدسه اللايزري... ولكن شيئا من ذلك لم يحدث. ندت عني ابتسامة بلهاء وارتخيت قليلا. «يجب أن أوقف مضايقتي له» قلت لنفسي. «لعبتك الصغيرة الغبية هذه لا تعدو أن تكون ردة فعل تلقائية لمهنتك.»

ـ أجل أعرفها. رد الصبي بصوت ضعيف.

نططت كما لو أنني كنت قد وضعت أصابعي في واصل كهربائي ثم تجمدت في مكاني في انتظار أن يخرج أخيرا مسدسه اللايزري.

Twitter: @ketab_n

ـ لدي صديق من كوكب المريخ، واصل الطفل. هو يأتيني دائما بالهدايا ويمكنك مشاهدته على شاشة التليفزيون مع بوغس باني[1].

ثم قهقه ضاحكا، وكذلك فعلت، لأنني أدركت أنني ألقيت على الطفل أسئلة محرضة متأثرة بقراءاتي. وجدتني في مواجهة طفل غريب الأطوار لكنه في مجمل الأحوال لا يعدو أن يكون طفلا.

ضحكنا لحين وعندما هدأت نوبة ضحكنا، كور يديه ووضعهما أمام عينيه كما لو كان يمسك بأنبوب.

ـ صديقي يتأمل دائما الأرض بانتباه بواسطة التلسكوب ويرى كيف يعيش الناس على سطحها. أنا أيضا أرى الناس لكن ذلك لا يسليني كثيرا كما يحدث معه. كنت أحيانا أشعر بالملل. لقد نزلت وصعدت مرات كثيرة من أجل الكلام أو السفر معه.

هذه الجملة الأخيرة فصمت يقيني وعاد عقلي الريفي المضطرب إلى التفكير. لكنني لم أخف لأن كل شيء بدا لي طبيعيا: الصبي،

---

(١) بوغس باني/ Bugs Bunny: هو شخصية لرسوم المتحركة من الولايات المتحدة أبدعها عدة مصممين أحدهم بين هارداواي/ Ben Hardaway وقد ظهر لأول مرة على الشاشة في سلسلة «خنزير الهير هانت/ Porky's Hare Hunt» سنة (١٩٣٨).
بوغس باني الأرنب الرمادي صاحب العبارة المفضلة التي صارت تقليدية: «ما الجديد/ ما الأمر، دكتور؟» وصاحب المواقف الإنسانية، ينفق أغلب وقته في قضم الجزر، وحفر الأرض والعبث بأعدائه. عبقريته تتأتى من قدرته دائما على إزعاج خصومه وإحباطهم والهروب من ملاحقتهم حتى وإن تطلب الأمر التمرد على قوانين الطبيعة، لأنه هو نفسه سيد رسوم الكرتون. ذاك هو الجانب الغامض في بوغس باني الذي لا يتوانى عن رسم باب في الجدار ثم فتحه كي يتمكن من النفوذ منه مما يجعل المشاهد غير قابلة للنسيان.

Twitter: @ketab_n

السيرك والبيئة المحيطة بهما. كنت تماما كما لو أنني أصبت بتقلصات في المعدة.

ـ ذات مرة بينما كنت بصدد النزول والصعود، أعطاني أحد سكان المريخ هذا...

وتوقف والحماس يغمره كي يجري نحو طاولة. انحنى، وفتش لفترة غير قصيرة بين أشياء وأوراق تدحرجت تحت السرير. عندما عاد كان يمسك بشيء ما.

ـ انظر إلى المهرج، قال لي وهو يمد لي تمثالا صغيرا.

لقد كان مهرجا مصنوعا من الخزف من ذلك الإنتاج الرخيص المتداول. لا أدري ما إذا كنتم تذكرون تلك التقويمات/ الروزنامات المصغرة، ذات حجم بطاقة الائتمان، التي تباع في الحافلات الصغيرة، والتي يخط على قفاها حكمة مستخلصة من الفلسفة الشعبية تحت رسم صارخ مثير للشفقة لحيوان أو مهرج. كان كذلك بالضبط، ولكن في أبعاده الثلاثة. هو نفس التمثيل فعلا، بتعبيرات ملامحه السعيدة، وبملابسه الرثة المملقة، وبحذائه الضخم وأنفه الأحمر وبقبعته المزركشة والمرصعة بزهرة. بعد فترة غير قصيرة، أدركت أنه كان يرتدي نفس لباس المهرجين خلال العرض الذي حضرته منذ قليل. كان من المربك جدا أن يكون ذلك مجرد مصادفة.

قطب الطفل حاجبيه كأنه يبحث في ذكرياته، ثم قال:

ـ قال لي صديقي: لا يوجد مهنة أفضل من مهنة المهرج. هو يسافر، ويلتقي بالناس ويشعر بالارتياح دائما.

Twitter: @ketab_n

وافقته في كل كلمة نطق بها ثم أعدت إليه مهرج البورسيلين. تطلع إليه باحترام.

ـ لذلك جئت. لأنني أريد، جئت. لأننا جميعا جميعا نريد... ولأن المهرج يريد... نرتحل كي نعرف خلق الله من بني البشر.

غرقنا في لحظة صمت. كنت أحاول فك غموض ما كان قد قاله منذ قليل أما هو فقد واصل مداعبته للتمثال الصغير بأطراف أصابعه. بعد أقل من دقيقتين، فتحت ماريا الباب ودعت الصبي لتناول العشاء. وضع هذا الأخير التمثال الصغير بعناية أمام المرآة ذات الثلاثة مصاريع كي ينبثق أربعة مهرجين مديرين لظهورهم. أسرع الطفل كي يلقي بنفسه بين أحضان المرأة. هو يبدو فعلا مصدقا أنها والدته.

ـ لقد نفذ الوقت. نبهتني المرأة قائلة.

لم يكن بوسعي فعل شيء آخر سوى أن أقوم متثاقلا كي أغادر المكان.

رافقاني إلى أن وصلنا إلى المدخل دون أن ينبس أي منا بكلمة. كان الطقس باردا قليلا لكن لا أحد في السيرك يبدو مهتما بذلك. ما زال العرض متواصلا وها هي موسيقى الأبواق تصلني أقل أو أكثر قوة، مثل أمواج البحر... كنا نكون ثلاثيا ملائما لهذا المكان. هي التي كانت تحملق في الصبي، هو الذي كان يبتسم لنا بالتناوب وأنا الغارق في عمق خدري والمواجه لمشكلة أنني لم ألف شيئا ملموسا يمكن الكتابة عنه. عندما أوشكا على المغادرة، اقتربت مني المرأة

Twitter: @ketab_n

وكان علي مواجهة نظرتها المسيطرة التي تشبه تماما نظرة قائد في الجيش:

ـ هل أنت حقا تصدق كل هذا الهراء الذي يحكيه الخيال العلمي؟ سألتني باستهزاء.

ثم انفجرت ضاحكة بصوتها الغجري وهي تدير لي ظهرها وتتوجه بسرعة نحو الخيمة حيث يقدمون وجبة العشاء. الصبي ذو الوجه الشاحب والعينين الواسعتين الرماديتين المندس بين ذراعيها، يلوح لي بيده الصغيرة مودعا.

حسنا. لم يعد لدي الكثير مما ينبغي علي حكيه لكم. قلت لكم منذ البداية إن هذا لا يعدو أن يكون حكاية طريفة. لم أقدر على كتابة شيء أهم فيما بعد: كنت مهووسا جدا بفكرة ذاك الطفل. عندما فشلت في إنجاز تحقيق جيد، نقلت إلى وظيفة صحافي مساعد للعمل بالقطعة. رحل السيرك في الأسبوع الموالي ولم يعد أحد يتذكر أنه رأى صبيا يشارك في عرض المهرجين. أخذت إثر ذلك إجازة مرضية لمدة ثلاثة أسابيع واستغل ذلك الأحمق غالدامس الفرصة كي يشفي غليله بالانتقام مني... حاولت في مرتين أو ثلاث أن أروي القصة بتأويلي الخاص كما لو كانت حقيقة، ولكنني دائما ما أتوقف وأتراجع في أوج منتصف الحكاية، عند رؤية الوجوه المتمددة وعند انتباهي إلى عدم لياقة وتضارب ما أنا بصدد قوله. اللعنة! أنا، حتى الآن، أعيد سرد الأحداث دون أن أتعرض إلى الهلوسات والتخيلات التي ظننتني رأيتها. وفي نهاية الأمر، أليس نقل الأحداث

Twitter: @ketab_n

كما وقعت تماما من أهم القواعد الذهبية بالنسبة للصحافة وليس كما نفترض نحن أنها كانت؟ بيد أنه ثمة كلمات لم تنفك أبدا عن الركض في دماغي، تلك الجملة التي قيلت لي في يوم ما ذات سيرك مرتحل: ها نحن أبدا مسافرون كي نلتقي أناسا نشعر برؤيتنا لهم أننا على ما يرام.»

ترجمة: سيلفي ميلر/ Sylvie Miller

Twitter: @ketab_n

الفهرس

مقدمة ٥
يوم من ضمن أيام أخر ١١
وانغلقت الحلقة ٢٩
تنكر ٤٩
عشيق إيرين ٦٥
تفسخ ٧٩
الأصل والتابع ٨٥
ثقيل الظل ٩١
الشاهد ٩٥
حكاية حب وعقاب ١٠٧
الإمبراطورة ١٢١
الرد ١٤٥
المهرج الخزفي ١٦١

Twitter: @ketab_n

هذا الكتاب

قبل عدة سنوات من الآن، وعندما أطلقت بعض المشاريع الجريئة و«الدونكيشوتية» مبادرات لرفع مستوى التعريف بالأدب الغرائبي الأميركي اللاتيني، كنا بعيدين عن افتراض أن سلطة تكاد تكون خفية، لكنها بالفعل ناضجة إلى حد الإزهار، ستكشف النقاب عن مؤامرتها السرية كرد فوري على ازدهار هذا النشاط.

هؤلاء الذين شملتهم هذه اللائحة المختصرة في المؤلف الذي بين أيديكم وأولئك الذين قد تضمهم مختارات مقبلة. ممثلين لأدب يرد بألف صوت على ضغوطات عصرنا وبآلاف من الطرق المختلفة لرؤية الواقع، بالخصوص عن طريق الخيال والافتراض والتنبؤ، وهكذا نرى أن الكتّاب الإسبانيين الأمريكيين جاهزون لإسماع أصواتهم وتبليغ رؤاهم من خلال أدبهم الإنساني في كل أصقاع العالم. لقد حافظنا على ترك الأبواب والنوافذ مغلقة لوقت طويل، بسبب التوجس وانعدام الجرأة والجهل والإهمال. وقد حان الوقت الآن لفتح كل ما كان موصداً على مصراعيه.